

مادة الفرق (١٨١)

محاضرتان معتمدتان لغير طلاب قسم العقيدة

الأهداف :

- ١- تعريف الطالب بموقف أهل السنة والجماعة من البدع والنهي عن الافتراق وأسبابه والخط التاريخي لنشأة الفرق .
- ٢- إعطاء الطالب نماذج من هذه الفرق ودراستها من حيث النشأة ومراحل التطور وأبرز الانحرافات العقدية عندها وحكم الاسلام فيها وآثارها على الأمة الإسلامية قديما وحديثا .
- ٣- ترسيخ الإيمان بعقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة في ذهن الطالب من خلال إطلاعهم على ضلالات وتخبطات وتناقضات الفرق المخالفة - أهل الأهواء- .

مفردات المنهج :

الموضوع الأول : دراسة تمهيدية في علم الفرق وتشمل :

- ١- السنة والبدعة وتعريف كل منهما .
- ٢- التحذير من البدع والنهي عن الافتراق من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح .
- ٣- أسباب نشوء الفرق .
- ٤- دراسة تفصيلية لنشوء الفرق في القرون الثلاثة الأولى .
- ٥- صفات أهل الأهواء وصفات الفرقة الناجية .
- ٦- أهم المؤلفات في علم الفرق .

الموضوع الثاني : فرق الخوارج .

دراسة مجملة عن ظهورهم وبدائيتهم، وأهم عقائدهم مع أخذ احدى الفرق المعاصرة نموذجا لذلك ، وتدرس دراسة تفصيلية من حيث : نسبتها ، نشأتها ، وأماكن وجودها ، ووجودها المعاصر ، وأهم أفكارها وعقائدها ، وأخيرا حكم علماء أهل السنة والجماعة فيها .

الموضوع الثالث : فرق الشيعة .

دراسة مجملة عن تعريف التشيع، ونشأته، وفرقه، وأهم عقائدهم، وأخذ فرقة الشيعة الاثني عشرية نموذجا لذلك، حيث تدرس دراسة تفصيلية من حيث نشأتها، وأماكن وجودها، وعقائدها، وبيان المفارقات العقائدية بينها وبين أهل السنة والجماعة، ثم دراسة فكرة التقريب معهم،

وبيان استحالة تحقيق ذلك، وأخيرا بيان أثرهم وخطرهم على العالم الإسلامي، والحكم فيهم .

الموضوع الرابع : فرق المدرسة العقلية .

دراسة مجملتهم وعن أصلهم (تقديم العقل على النقل) وتؤخذ المعتزلة نموذجا لذلك ، وتدرس من حيث نشأتها، وأطوارها وأصولها الاعتقادية، ومدى الصلة بينها وبين فرقة الأشاعرة ، وأقوال علماء أهل السنة فيهم ، وأخيرا بيان أثرهم وخطرهم على عقيدة أهل السنة والجماعة .

الموضوع الخامس : الفرق الباطنية .

تعريفها ونشأتها وفرقها وأفكارها الأساسية عموما ، ويؤخذ نموذجا لذلك طائفة الإسماعيلية حيث تدرس دراسة تفصيلية من حيث نشأتها وأماكن وجودها وأصولها الاعتقادية، ويركز على فرقتي البهرة، والآغاخانية، وبيان خطرهم وضررهم على المسلمين وأخيرا حكم علماء أهل السنة والجماعة فيهم .

الموضوع السادس : الفرق الصوفية .

دراسة مجملتهم عن النشأة والتسمية وبيان الفرق بين الزهد الإسلامي والتصوف ، ومراحل الصوفية ثم دراسة مفصلة عن فرقة التيجانية نشأتها وأماكن وجودها وأسباب انتشارها، وعقائدها ، وبيان أثرها وخطرها على الفكر الإسلامي ، وحكم علماء أهل السنة فيهم .

الموضوع السابع : الفرق الحديثة .

دراسة مجملتهم عن ظهورها وخطرها ودور الاستعمار في حمايتها ودعمها ، وأخذ القاديانية نموذجا لذلك، حيث تدرس من ناحية نشأتها، وأماكن وجودها، وأصولها الاعتقادية، وموقف القرآن والسنة من ذلك، وحكم الإسلام فيهم .

المراجع :

- ١- الاعتصام للمام الشاطبي .
- ٢- منهاج السنة النبوية. لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- ٣- مقدمة شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للآلكائي .
- ٤- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، د. أحمد جلي .
- ٥- فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د. ناصر القفاري .
- ٦- أصول مذهب الشيعة ، د. ناصر القفاري .

- ٧- فرق معاصرة منتسبة للإسلام وبيان موقف الإسلام فيها ، د. غالب عواجي .
- ٨- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د. محمد أحمد الخطيب .
- ٩- التيجانية ، د. علي الدخيل الله .
- ١٠- القاديانية ، إحسان إلهي ظهير .
- ١١- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ، د. إبراهيم الرحيلي .
- ١٢- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، صادق سليم صادق .

الهدف من دراسة الفرق.

الأهداف كثيرة أهمها الآتي:

١- تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والكرامة حينما كانوا يداً واحدة، وقلباً واحداً.

٢- لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه، ومدى ما لحقهم من الخسارة بسبب تفرقهم.

٣- توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم، وذلك بالتركيز على ذم التفرق وبيان مساوئه، وبيان محاسن اتحاد المسلمين، وجمعهم على طريق واحد.

٤- تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم فيما سبق، ليجتنبوها بعد أن يتدارسوها فيما بينهم بعزم قوي وصدق نية.

٥- معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام بعيدة عن طريقه الواضحة.

٦- رصد الحركات والأفكار التي يقوم بها الخارجون عن الطريق المستقيم؛ وبيان دورهم الخطير في تفرق وحدة الأمة الإسلامية بتعريف الناس بأمرهم، وجلاء حقيقتهم للتحذير منهم، وبيان ما يقومون به من خدمة تلك الأفكار وترويجها.

٧- وصل حاضر هذه الأمة بماضيها، وبيان منشأ جذور الخلافات بينهم والتي أدت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها، وللرد على أولئك الذين يحاولون دعوة المسلمين إلى قطع صلتهم بماضيهم، والبناء من جديد كما يزعمون.

٩- جمع تراث الماضي ودعوة علماء المسلمين إلى دارسته وفحصه واستخراج الحق منه ، واستبعاد كل ما من شأنه أن يخرج بالمسلمين عن عقيدتهم الصحيحة أو يفرق كلمتهم.

أهمية دراسة الفرق.

لماذا نشغل أنفسنا بدراسة فرق انتهت، وربما لم يعد لها ذكر على الألسنة؟

والجواب:

أولاً: إن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا بزمانهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر.

ثانياً: مما هو معلوم أن كل الأفكار والآراء السابقة لها أتباع ينادون بتطبيقها، ففكر الخوارج

وغيرهم، ممن ينادون بتكفير الشخص بأدنى ذنب - قائمة الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية على أشدها، موهمين الشباب ومن قلت معرفته بالدين أن الدين هو هذا المسلك فقط. فدراسة الفرق تكشف جذور البلاء الذي شتت قوى المسلمين وفرقهم شيعاً، وتوجيه الأنظار إلى تلك الفرق التي تعمل لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام.

ثالثاً: إن دراسة الفرق - والدعوة إلى الاجتماع واتحاد كلمة المسلمين - فيه تكثير لعدد الفرقة الناجية بانضمام أولئك الخارجين عن الحق ووقوفهم إلى جانب أهل الفرقة الناجية.

رابعاً: إن ترك الناس دون الدعوة إلى التمسك بالدين الصحيح، ودون بيان أضرار الفرق المخالفة، فيه إبطال لما فرضه الشرع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الفرق التي ظهرت، ما من فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على كثير من المنكرات، وهي تدعي أنها هي المحقة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براءة لترويج بدعهم، والدعوة لها.

خامساً: إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تدعو إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع؛ فإن كثيراً من طلاب العلم - فضلاً عن عوام المسلمين - يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهي تعمل ليلاً ونهاراً لنشر باطلهم، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين نجحوا في حجب الأنظار عنهم وعن مخططاتهم الإجرامية.

تعريف الافتراق والفرق بينه وبين الاختلاف.

تعريف الافتراق لغة واصطلاحاً.

الافتراق لغة: خلاف الجماعة والاجتماع والجمع، قال تعالى: **{وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}** [آل عمران: ١٠٣]، أي: بعد الاجتماع، فالافتراق نقيض الاجتماع، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا) أي: عن مجلسهما فينفضل أحدهما عن الآخر.

والافتراق: الانقسام، والفرق: الفلق، والفلق من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قوله تعالى: **{فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}** [الشعراء: ٦٣].

والمفارقة: المباينة، وفارق الشيء مفارقةً وفراقاً: باينه، والاسم الفرقة، وتفارق القوم: فارق

بعضهم بعضاً، والفرقة: الطائفة من الناس، والفريق أكثر منه، وفرق: جمع فرقة، والفراق: التفريق بين الشيئين والفصل بينهما، والتفرق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرق للأبدان، والافتراق في الكلام، يقال: فرقْتُ بين الكلامين فافترقا وفتقت بين الرجلين فافترقا، والتفرق والتفرقة: التبيد والتمزيق، يقال: فرقته تفريقاً وتفرقه أي بدده.

وفي الجملة: أن الافتراق في اللغة يدور حول معاني: المفارقة، الانقطاع، التفرق، المفاصلة، الانفصال، الشذوذ، المباينة، الانقسام والتهيه، والضياع، والضلال، المقاطعة، التشعب، الخروج عن الجادة وعن الأصل وعن الأكثر وعن الجماعة، التغيير.

الافتراق في الاصطلاح: يطلق على أمور منها:

١- التفرق في الدين والاختلاف فيه ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]، وقوله: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} [آل عمران: ١٠٥]، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: ١٥٩]، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ((إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب)).

٢- الافتراق عن جماعة المسلمين وهم عموم أمة الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وهم أهل السنة ومن كان على هديهم بعد ظهور الافتراق فمن خالف سبيلهم في أمر يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد أو الشذوذ عنهم في المناهج أو الخروج على أئمتهم أو استحلال السيف فيهم فهو مفارق، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمي ومن خرج من أمي على أمي يضرب برها وفاجرها لا يتحاش من مؤمنها ولا يفي بذي عهدها فليس مني)).

فذكر عليه الصلاة والسلام أصنافاً من المعارضين الخارجين:

- ١- المفارقون للجماعة.
- ٢- الخارجون عن الطاعة.
- ٣- الخارجون عن الأمة بالسيف.
- ٤- المقاتلون تحت راية عمية وهو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، ومنه قتال العصبية،

والفتنة، والقوميات، والشعارات، والحزبيات ونحوها.

فالخروج عن أهل السنة والجماعة ولو في أصل واحد من أصول الدين الاعتقادية أو العملية المتعلقة بالقطعيات، أو بمصالح الأمة العظمى أو بهما معاً فإنه يعتبر تفرقاً؛ فالضابط في الافتراق أنه يؤدي إلى الفتن، والتفرق، والقتال، والبغي، والبدع، وبذلك يتضح أن أهل الافتراق هم أهل الأهواء والبدع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة. ثم قال: وإنما المقصود هنا التنبيه على وجه تلازمهما: موالاته المفترقين، وإن كان كلاهما فيه بدعة وفرقة.

- الضابط في الافتراق: يحكم بالمفارقة على كل من خرج عن سبيل أهل السنة والجماعة في أصل من أصول الدين، أو قاعدة من قواعده أو خالف في فروع كثيرة وجزئيات متعددة مخرجة عن سمة أهل السنة وهدْيهم؛ كبَدع الشعائر والعبادات إذ كثرت، وهذا ما وضحه شيخ الإسلام رحمه الله من جعل العادة التي يتقرب بها إلى الله بدعة كاتخاذ لبس الصوف عبادةً وطريقاً إلى الله.

الفرق بين الافتراق والاختلاف .

تعريف الاختلاف في اللغة: تدور مادة خلف في اللغة حول أصول ثلاثة:

- ١- أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه ؛ قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً } [الفرقان: ٦٢] فالليل يجيء بعد النهار ويقوم مقامه، والنهار يجيء بعد الليل ويقوم مقامه. وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ } [الأنعام: ١٦٥] أي: أمة تجيء بعد أمة وتقوم مقامها.
- ٢- عكس قدام ؛ قال تعالى: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } [البقرة: ٢٥٥]، ومنه التأخر لقصور المنزلة، كما في قوله تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ } [الأعراف: ١٦٩].
- ٣- التغير؛ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: ((لخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)) ، أي لتغير رائحة فم الصائم بسبب خلو المعدة عند الله أطيب من ريح المسك. والأصل الأول هو المقصود هنا، يقال: اختلف الناس في كذا أي: مختلفون لأن كل واحدٍ منهم ينحى قول صاحبه ويقيم نفسه مقام الذي نحاه.

الاختلاف في الاصطلاح: من التعاريف التي سبقت في هذا المجال:

- هو منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق جواز إبطال باطل.

- وعرفه الراغب بقوله: الخلاف والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق

الأول في فعله أو حاله. وعلى ذلك فالتعريف في الاصطلاح لم يخرج عن المعنى اللغوي.

الفرق بين الاختلاف يتضح من أمور كثيرة منها:

١- إن الافتراق أشد أنواع الاختلاف بل هو من ثمار الخلاف إذ قد يصل الخلاف إلى حد الافتراق وقد لا يصل، فالافتراق اختلاف وزيادة لكن ليس كل اختلاف افتراق.

٢- إن الافتراق غالباً يكون بعد العلم بالبينات كما قال تعالى { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [آل عمران: ١٩] { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } [آل عمران: ١٠٥].

٣- إن الافتراق يؤدي إلى الهلاك لصاحبه ومن يتبعه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا، وفي رواية: فأهلكوا)) - بفتح اللام وفي رواية بضم أوله وكسر اللام - وأما الاختلاف لا يوصل صاحبه إلى التهلكة لكونه لم يقصد الفرقة وإنما حصل ذلك لسوء فهم أو تأويل، أو جهل، قال تعالى: { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ } [البقرة: ٢١٣]، وقال: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ } [النحل: ٦٤].

٤- إن الاختلاف قد يكون عن اجتهاد وعن حسن نية وقد يؤجر المخطئ، بينما الافتراق لا يكون عن حسن نية، وصاحبه لا يؤجر بل هو مذموم وآثم على كل حال. لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد)).

٥- إن من الاختلاف ما لا يصل إلى حد الافتراق ولا التنازع في الدين، يقول الشاطبي: ووجدنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين، ولم يتفرقوا ولا صاروا شيعاً لأنهم لم يفارقوا الدين وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد في الرأي والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصاً. أما الافتراق فيؤدي إلى التنازع والقتال والتكفير ومن ثم دخول النار، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)).

٦- إن كل افتراق اختلاف، وليس كل اختلاف افتراق، فكثير من المسائل التي يتنازع فيها

المسلمون هي من المسائل الخلافية، ولا يجوز الحكم على المخالف فيها بالكفر ولا المفارقة ولا الخروج من السنة.

٧- الافتراق مذموم كله والاختلاف ليس كله مذموماً.

٨- الاختلاف يعذر صاحبه إذا كان مجتهداً والافتراق لا يعذر صاحبه، لأنه لا يكون إلا عن اتباع هوى أو ابتداء أو تقليد مذموم.

٩- الافتراق إنما يكون في الأصول الاعتقادية والقطعيات التي لا يسع الخلاف فيها والتي تثبت بنص قاطع، أو بإجماع، أما الاختلاف يكون فيما دون الأصول مما يقبل التعدد والرأي.

١٠- الافتراق يكون دائماً عن هوى أو بدعة أما الاختلاف فلا يلزم منه ذلك.

١١- الاختلاف قد يكون رحمةً وأهله ناجون إن شاء الله تعالى، والفرقة عذاب وأهلها متوعدون، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شرٍ عظيم من خفاء الحكم.

النهي عن التفرقة.

أولاً : النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد.

وردت نصوص عدة تأمر بالجماعة وتثني بالنهي عن الفرقة في موضع واحد، ومن هذه النصوص قوله تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣].

ففي هذه الآية أمرنا الله عز وجل بالجماعة ونهانا عن التفرقة يقول الإمام محمد بن جرير الطبري في تأويل قوله تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} وتعلقوا بأسباب الله جميعاً يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله. ويقول الإمام القرطبي رحمه الله في معنى الآية: فإن الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما لسماك الحنفي: يا حنفي الجماعة الجماعة!! وإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقتها، أما سمعت الله عز وجل يقول: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣].

وهذا الأمر بالجماعة عام للأمة في كل زمان وكل مكان هذا حالهم أن يكونوا مجتمعين بحبل

الله، فالله سبحانه وتعالى أمرهم بأن يعتصموا بحبل الله جميعاً، وجميعاً: منصوب على الحال أي: كونوا مجتمعين على الاعتصام بحبل الله. وفي هذه الآية وبعد أن أمرهم سبحانه بالجماعة والتمسك بها إذ به منعتهم وأمنهم، نهاهم عن الفرقة فقال ولا تفرقوا أي :

لا تفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاة إلى أمره. يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون في الفرقة. ومعنى نهيته تعالى عن الفرقة في قوله: ولا تفرقوا: أي لا تفرقوا في دينكم كما افرقت اليهود والنصارى في أديانهم ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة. ويجب أن يعلم المؤمن أن الاجتماع على الحق والبعد عن الفرقة مما أمرنا الله به ورضيه لنا ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال)). فالله سبحانه حثنا على الاجتماع وأمرنا بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام.

ولكن لا يكون الاجتماع مجرد الاجتماع، فالأمر بالاجتماع ليس اجتماع على أي شيء أو اجتماع على لا شيء، بل اجتماع على الدين اجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله الاجتماع على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بنصوص الشريعة كلها.

ثانياً : الأمر بلزوم الجماعة والتحذير من الفرقة.

إن النصوص السابقة سلكت مسلك الجمع بين ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد لتغليظ الأمر في ذلك.

وكذلك سلكت النصوص مسلكاً آخر حينما أمرت بالجماعة في نصوص ونهت عن الفرقة في نصوص أخرى، وقد سبق أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده والنهي عن شيء يستلزم الأمر بضده. ومن النصوص التي تحث على الجماعة وترغب بلزومها وتبين أجر من لزم ولم يفارق، وتؤكد أن العصمة في وقت الفتن والمحن هو في التمسك بجماعة المسلمين فهي المخرج والمنجي بإذن الله منها قوله صلى الله عليه وسلم: ((من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد)) فانظر عظم الأجر على لزوم الجماعة بل إن الخير كل الخير فيها

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يد الله مع الجماعة...))

فيد الله مع الجماعة ويد الله على الجماعة ينصرهم ويؤيدهم ويسددهم وهو معهم معية خاصة: معية النصر والتأييد متى ما كانوا مجتمعين على الحق مجتمعين على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الثالث: بيان حال أهل الفرقة والاختلاف.

الحق في كل زمان وكل مكان لا يختلف ولا يتغير ولا يتعدد بل هو واحد وما ذاك إلا لوحدة المصدر الذي يستقى منه، إنه من لدن حكيم خبير.

لذلك نجد النصوص تأمر باتباع المنهج الصحيح قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].
وبلزوم هذا المنهج المستقيم تتحقق الجماعة ويلتئم شمل الأمة، وبمخالفته والبعد عنه تحدث الفرقة ويجانب المرء الحق والصواب ويرتكب الباطل، هذا الباطل المتعدد المتلون والذي حذرنا الله تعالى منه. قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية "إنما وحد سبيله لأن الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقتها وتشعبها.

و السبل: الضلالات المحدثات إنها متعددة متفرقة وهذا حال أهل الفرقة، من حاد عن الصراط المستقيم فهم في فرقة واختلاف وتنازع وشقاق.

ولقد وصفهم الله عز وجل بقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [البقرة: ١٧٦].

وقال سبحانه: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٣٧]

وقال عز وجل عن الكافرين: {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [الحج: ٥٣]. ففي الآيات السابقة يصف الله تعالى حال المخالفين للحق المفارقين له وأنهم في شقاق: شقاق مع الحق وشقاق مع القائمين به والداعين إليه .

رابعاً: التأكيد على أسباب الاجتماع وبيان طرق تأليف قلوب المسلمين.

سلكت النصوص الواردة في النهي عن الفرقة هذا المسلك للتأكيد على النهي عن الفرقة والأمر بلزوم الجماعة إذ الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة أصل من أصول الإسلام العظيمة وقاعدة

من قواعد الدين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بجبل الله جميعاً وأن لا يتفرق هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة. ويقول أيضاً: وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين.

والناظر في أركان الإسلام الخمسة يجد أن هذا الأصل قد تجلّى بوضوح في هذه الأركان.

حصر الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق.

من هي الفرقة الناجية؟

اختلف العلماء في المراد بها على أقوال، وهي إجمالاً:

١ - قيل: إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

٢- وقيل: هم العلماء المجتهدون الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)) ، أي لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة، وخصهم شيخ الإسلام بعلماء الحديث والسنة.

٣- إنهم خصوص من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية: ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي)).

٤- إنهم جماعة غير معروف عددهم ولا تحديد بلدانهم، أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بإخبار الله له أنهم على الحق حتى يأتي أمر الله.

ولعل هذا هو الراجح من تلك الأقوال ونحن نطمع إن شاء الله أن نكون منهم مادمننا على التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى منهج سلفنا الكرام.

٥- وهناك قول خامس، أن الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير .

• معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((كلها في النار إلا واحدة)).

وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((كلها في النار)) فقد ذكر الشاطبي ما حاصله:

١- أن هذه الفرق لا بد أن ينفذ فيها الوعيد لا محالة.

٢- أنهم مثل أهل الكبائر تحت المشيئة.

٣- أن الأولى عدم التعرض لتعيين الفرق غير الناجية بالحكم عليها بالنار، لأن النبي عليه

السلام نبه عليها تنبيهاً إجمالياً لا تفصيلاً إلا القليل منهم كالخوارج.

والذي يظهر أن الفرق تختلف في بعدها أو قربها من الحق، فبعضها يصح أن يطلق على أصحابها أنهم أهل بدعة أو معصية وحكمهم حكم أصحاب الكبائر، وبعضها لا يصح وصف أصحابها إلا بالكفر لخروجهم عن الإسلام مثل فرق الباطنية والسبئية والميمونية من الخوارج... إلخ، ويكون حكمهم حكم الكفار الخارجين عن الملة، ولو تظاهروا بالإسلام.

هذا الافتراق في الدين أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وبين لنا -وهو الناصح الأمين- كيف ننجو منه، ومن وعيد أهله.

فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: {افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة. وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: يا رسول الله! من تلك الفرقة الناجية؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي}.

وفي رواية قال: {هي الجماعة}. ومن هنا كان لزاماً علينا معرفة أسباب الافتراق ومظاهره من جهة، ومعرفة صفات الفرقة الناجية ومميزاتها من جهة أخرى.

أسباب الافتراق ومظاهره.

١- الرجوع إلى غير الكتاب والسنة والتلقي مما سواهما.

مصدر الحق الوحيد فيما يتعلق بالعقيدة والدين هو الكتاب والسنة، كما فهمها الصحابة والسلف الصالح، ولهذا كان الرجوع إليهما والفهم الصحيح لهما هو سبيل الحق وطريق النجاة.

يقول تعالى: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [الأنعام: ١٥٣].

ويقول: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) [النحل: ٦٤]. فالوحي - كتاباً وسنة - هو المصدر المحفوظ المعصوم، الذي لا يضل من تمسك به، ولا يشقى في الدنيا والآخرة.

وقد ضلت الفرق وتفرقت الأمة عندما اتخذت مصدراً سواها، وتوهمت فيه العصمة والحق.

٢- الأخذ ببعض الدين وترك البعض.

يقول الله تعالى: ((وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا

بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) [المائدة: ١٤].

فالدين شامل كامل، فيه الوعد والوعيد، وفيه الأحكام والآداب، وفيه تحريك العقل والوجدان، وفيه القوة والرحمة.

فإذا أخذت طائفة بالوعد وترك الوعيد، وعكست الأخرى فأخذت بالوعيد ونسيت الوعد، فلا بد أن تقع العداوة والبغضاء والفرقة.

وكذلك: إذا أخذت طائفة بالآداب دون الأحكام، أو بالزهد دون العمل والجهاد. وواقع الفرق يشهد لهذا بوضوح.

٣- كيد أعداء الإسلام.

يقول الله تعالى: ((وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)) [البقرة: ١٢٠].

ويقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِدُّوكُمْ عَلَىٰ أَغْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ)) [آل عمران: ١٤٩].

فأعداء الإسلام يعملون ليلاً ونهاراً من أجل إطفاء نور الله، وتدمير الأمة المصطفاة، كلهم متفقون على ذلك وإن اختلفت أديانهم وآراؤهم.

وهذا ابتلاء من الله لهذه الأمة من جهة، كما أنه عقوبة وتأديب لها من جهة أخرى. والإسلام قد قضى على الأديان الباطلة، وهدم الأنظمة الفاسدة، والحكومات الظلمة، وحارب الشهوات والرغبات الدنيئة، فلا غرابة أن يحقد عليه أصحابها، ويتآمروا على هدمه، ويدسوا فيه العقائد الباطلة، ومن ذلك إيجاد الفرقة بين أهله، وبذر البدع والضلالات فيهم.

تعريف السنة والبدعة.

١ - تعريف السنة ، وبيان من هم أهل السنة والجماعة، مع ذكر أبرز صفاتهم:

السنة : في باب العقيدة لها إطلاقان ، إطلاق عام ، وإطلاق خاص.

(١) الإطلاق العام للسنة ، تطلق ويراد بها ما يقابل البدعة، فهي :

أ - الإسلام المحض الخالي من البدعة .

ب - ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام ، في باب العقائد

والعبادات، من الأقوال والأفعال .

ج - السير في أمور الدين على ما سار عليه صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام .

٢) الإطلاق الخاص للسنة ، تطلق ويراد بها ما يقابل الشيعة ، فيقال : سني وشيعي .
أهل السنة والجماعة :

١) هم الصحابة، ومن سار على نهجهم .

٢) هم جماعة المسلمين .

٣) هم المتمسكون بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة .

٤) هم الذين أجمعوا على الأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتقادات والعبادات .

أبرز صفات أهل السنة والجماعة :

١) تقديم الكتاب والسنة على كل ما عداها من الآراء والأهواء والسياسات والأذواق

والأعراف والعبادات .

٢) يأخذون بالمحكمات من نصوص الوحي ، ويردون المتشابهات إلى المحكمات.

٣) لا يبتدعون في الدين سواء في العقيدة أو في العبادة، وإنما يتبعون فيهما ما ثبت عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ - البدعة ، تعريفها :

- إحداث أمر في الدين سواء في العقيدة أو العبادة، لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ولا عن صحبه الكرام.

- ما لم يشرعه الله ولا رسوله سواء في العقيدة أو العبادة من الأقوال أو الأفعال أو الأحوال.

- طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التبعد لله تعالى.

- الأمر الحادث بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الدين، وكان الداعي

لإيجاده موجوداً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا لم يفعله ولم يحض عليه.

أهل البدعة والضلالة : هم الذين ابتدعوا عقائد أو عبادات مخالفة للدين، واشتهرت مخالفتها

عند سلفنا الصالح وعند أهل العلم بالدين ، كبدعة الخوارج والمرجئة والقدرية والصوفية.

أبرز صفات أهل البدعة :

١) تقديم الرأي أو الهوى أو السياسة أو الذوق أو نحو ذلك على نصوص الكتاب والسنة.

٢) اتباع المتشابه من النصوص ، وترك المحكم .

٣) العجلة في إصدار الأحكام على المخالفين بالكفر أو الفسق أو البدعة أو النفاق ونحو ذلك.

٤) القدح في الصحابة، أو أهل العلم المشهود لهم بالفضل والاستخفاف بالسنة وبأهلها.

ضابط تحديد البدعة.

من الضوابط التي وضعها العلماء للبدعة قولهم: كل عمل لم يعمله النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود المقتضي له، وعدم المانع من فعله، ففعله بعد ذلك بدعة، وهذا يخرج صلاة التراويح وجمع القرآن من البدعة، لأن صلاة التراويح لم يستمر النبي صلى الله عليه وسلم على فعلها (جماعة) لوجود المانع، وهو الخوف من أن تفرض .

وأما جمع القرآن، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله، لعدم وجود المقتضي لذلك، فلما كثر الناس واتسعت الفتوحات وخاف الصحابة من دخول العجمة جمعوا القرآن.

وليعلم المسلم أن البدعة خطرها عظيم على صاحبها وعلى الناس وعلى الدين، وهي مردودة على صاحبها يوم القيامة، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد" رواه البخاري ومسلم . وعند مسلم : "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد" ، وقوله: في أمرنا أي: في ديننا، وقوله: رد أي: مردود على صاحبه كائناً من كان. وأيضاً: البدعة ضلالة، لقوله صلى الله عليه وسلم: " وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" رواه النسائي.

كيف تنشأ البدعة؟

يقول الإمام الشاطبي: فالبدعة تنشأ عن أربعة أوجه .

أحدها : وهو أظهر الأقسام . أن يخترعها المبتدع .

والثاني : أن يعمل بها العالم على وجه المخالفة ، فيفهمها الجاهل مشروعة .

والثالث : أن يعمل بها الجاهل مع سكوت العالم عن الإنكار ، وهو قادر عليه ، فيفهم

الجاهل أنها ليست بمخالفة .

والرابع : من باب الذرائع ، وهي أن يكون العمل في أصله معروفاً ، إلا أنه يتبدل الاعتقاد

فيه مع طول العهد بالذكرى .

إلا أن هذه الأقسام ليست على وزن واحد ، ولا يقع اسم البدعة عليها بالتواطؤ ، بل هي في القرب والبعد على تفاوت.

أهم الأصول التي وقع فيها الافتراق.

١- الإيمان. دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وعلى ذلك أجمع الصحابة والسلف الصالحون أجمعون، وهو مذهب أهل السنة والجماعة وفارق الجماعة فيه طائفتان :

أ- الخوارج والمعتزلة. مذهبهم أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وهو فعل جميع الطاعات وترك جميع المحرمات، ومن ترك واجباً أو فعل محرماً، فهو كافر عند الخوارج، وفي منزلة بين الإيمان والكفر عند المعتزلة، وهو مخلد أبداً في النار عند الطرفين .

ب- المرجئة: مذهبهم أن الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص، وهو التصديق أو المعرفة بالقلب وحده، دون إقرار اللسان وعمل الجوارح، كما يقول الغلاة منهم، أو التصديق بالقلب والإقرار باللسان دون عمل الجوارح، كما يقول بقيتهم .

وعندهم أن من ترك واجباً أو فعل محرماً، فهو كامل الإيمان ما دام عنده تصديق أو تصديق وإقرار .

هذا وأهل السنة والجماعة عقيدتهم: أن من ترك واجباً أو فعل محرماً من غير جحود للواجب أو استحلال للمحرم، فإنه ناقص الإيمان، وأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

٢- القدر. دلت النصوص من الكتاب والسنة، على أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة. وفارق الجماعة فيه فرقتان:

أ- القدرية: نفاة القدر، وعلى ذلك المعتزلة وعامة الشيعة.

ب- الجبرية: الذين نفوا مشيئة العبد وإرادته - كما سبق - وهم الجهمية، وقريب منهم في ذلك الأشعرية.

٣- الأسماء والصفات. معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته هي أشرف أنواع العلوم والمعارف، ولا تطمئن القلوب وتأنس إلا بمعرفة معبودها سبحانه، وكذلك لا تصلح ولا تستقيم على الحق إلا إذا آمنت بأسمائه وصفاته، وحققت ما يقتضيه ذلك الإيمان من يقين وإخلاص، وخوف ورجاء

منه وحده سبحانه.

والسلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى آمنوا بكل ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته، وحققوا مقتضياتها، ولوازم الإيمان بها، فكانوا أكثر الناس علماً بالله ومعرفة، كما كانوا أكثر الناس خشية له، وانقياداً لأمره، واتباعاً لشرعه.

وهم مع إثباتهم لكل أسمائه تعالى وصفاته، يؤمنون إيماناً جازماً بأنه تعالى لا مثل له ولا شبيهه، ولا ند ولا شريك: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١].

فهم يثبتون الصفات، وينفون التشبيه، ويعتقدون أنه - كما أنه تعالى - لا يماثله شيء من خلقه في ذاته، ولا يماثله شيء في صفاته.

وكما أن وجوده تعالى لا يشبه وجود المخلوقات، فكذلك سائر الصفات.

وفارق الجماعة في ذلك فريقان:

أ- فريق يثبت لله تعالى صفات كصفات المخلوقين، فيقولون: علمه كعلمنا، ويده كيدنا، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهم يسمون المشبهة وعلى هذا المذهب قدماء الشيعة والروافض.

ب- فريق ينفي صفات الله تعالى، زاعماً أن إثباتها يلزم منه التشبيه، فيقولون: ليس له وجه ولا يد. ولا قدرة ولا علم، وهؤلاء يسمون (أصحاب التعطيل) أو (المعطلة) وهم درجات:

١- من ينكر الأسماء والصفات جميعاً وهم الجهمية.

٢- من ينكر الصفات ويثبت الأسماء، فيقولون مثلاً: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وهم المعتزلة.

٣- من ينكر بعض الصفات ويثبت بعضها، ويثبت الأسماء، وهم الأشعرية، وهم ينكرون العلو والاستواء واليد والغضب والرضا ونحوها.

٤- الإمامة. من عقيدة السلف الصالح: أن أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم، وأن الأئمة من قریش، لا تخرج الإمامة عنهم كما صحت بذلك السنة، وأن الإمامة منصب شرعي، غرضه إقامة الدين، وسياسة الدنيا به، وطريقتها الشورى واختيار أهل الحل والعقد من العلماء وذوي الشأن.

وفارق الجماعة في ذلك فرقتان:

١- الشيعة: ومذهبهم أن أولى الناس بالخلافة هو علي، واختلفوا في خلافة الثلاثة، فقالت

الزيدية : هي صحيحة، ولكن علياً أولى منهم.

وقال بقية الشيعة: خلافتهم باطلة، ويسبونهم ويلعنوهم، والإمامة عند الشيعة، ليست مجرد منصب شرعي، بل هي ركن من أركان الدين، وأصل من أصوله.
وطريقتها الوراثية والتعيين في ذرية الحسين فقط، لا تخرج عنهم.
٢- الخوارج : وهم يقرون بخلافة الشيخين: -أبي بكر وعمر - ويطعنون في عثمان وعلي، وقد يكفروهما، ويقولون: الإمامة جائزة في كل الناس قريش وغيرها.

صفات الفرقة الناجية ومميزاتها.

من المعلوم أن الذين يطلق عليه أصحاب الفرقة الناجية وهم المتبعين للكتاب والسنة- الذين لا يعدلون عنهما إلى قياس أو ذوق أو سياسة أو قول إمام، بل عندهم أن القياس والذوق أو الكشف والسياسة وقول الإمام ترجع كلها إلى الكتاب والسنة، فما وافقهما قبل وإلا فهو جهل وظلم يرد على صاحبه- لهم صفات، ترجع جميعها إلى قوله صلى الله عليه وسلم: {من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي} . ونتيجة لذلك امتازت عن غيرها من الفرق في جميع العصور بمميزات كثيرة.

أولاً - صفات الفرقة الناجية.

١- اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يقدمون عليهما شيئاً، لا العقل ولا الرأي، ولا الكشف ولا المذهب، ولا الطريقة ولا قول أحد من البشر، أو حكمه وشرعه، ولهذا يهتمون بكتاب الله حفظاً وتلاوةً وتفسيراً، كما يهتمون بمعرفة الحديث الصحيح، وتمييزه عن الضعيف والموضوع، ويبدلون في ذلك جهوداً عظيمة.

٢- ترك الابتداع في الدين، ومحاربة البدع، واتباع منهج الكتاب والسنة في الرد على الشبهات والضلالات، فلا يردون بدعة ببدعة، ولا يردون بعض الدين من أجل إثبات البعض الآخر.

٣- الدخول في الدين كله، والإيمان بالكتاب كله: فيؤمنون بنصوص الوعد ونصوص الوعيد، كما يؤمنون بنصوص الإثبات ونصوص التنزيه، ويجمعون بين الإيمان بالقدر، وبين إثبات إرادة العبد ومشيتته، كما دلت على ذلك النصوص... وهكذا.

كما يجمعون بين العلم والعبادة، وبين القوة والرحمة، وبين العمل والزهد، فمنهجهم هو المنهج الوحيد، الذي يتحقق فيه تكامل الإسلام، وشموله وتوازنه.

٤- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق، وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع. ولهذا، لم يتميزوا عن الأمة باسم سوى السنة والجماعة، ولا يوالون ولا يعادون على رابطة سوى السنة والجماعة.

٥- إحياء السنة والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والعمل لإقامة شرعه وحكمه في كل صغيرة وكبيرة، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

ثانياً: مميزات الفرقة الناجية.

إن المتتبع لتاريخ الفرق وأحوالها يجد أن الفرقة الناجية تتميز عن غيرها بمميزات واضحة، منها:
١- الاتفاق وعدم الافتراق: فهم متفقون في أصول العقيدة على الرغم من تباعد الأقطار، واختلاف الأعصار، وما ذلك إلا لأن مصدرهم الذي يتلقون عنه واحد، ومنهجهم في تلقيه واحد. أما غيرهم من الفرق، فإنه لا تكاد تخرج الفرقة حتى تنشق منها فرق مختلفة، يكفر بعضها بعضاً، ولا تزال تنشق باستمرار.

٢- التوسط وعدم الغلو أو التفريط: فهم وسط في (الإيمان) بين الخوارج والمرجئة، ووسط في (الصفات) بين المشبهة والمعطلة، ووسط في (القدر) بين القدرية والجبرية، ووسط في (الصحابة) بين الشيعة والخوارج .

٣- مراعاة حق الله تعالى في الأحكام: فلا ينظرون إلى حق النفس أو الفرقة، ويحكمون من خلاله، بل هم ملتزمون بالإنصاف والقسط للموالين والمعادين سواء، فلا يكفرون إلا من كفره الله ورسوله، ولا يخطئون إلا من خطأه الله ورسوله، ولا يغمطون أحداً حقاً أو فضلاً. وهذا بخلاف غيرهم من الفرق، فهي تطلب حظ النفس، وتحكم بالهوى، وتتعصب للطائفة.

٤- الريانية في الانتماء والانتساب: كما أنها فرقة ربانية في مصدرها ومنهجها، هي كذلك ربانية في انتمائها وانتسابها، فهي لا تنتسب إلى رجل ولا طريقة ولا مذهب (اعتقادي)، وإنما ينتسب أصحابها إلى الإسلام والسنة، فيقال لهم: (أهل السنة) و(أهل الحديث أو أهل الأثر) أو أتباع السلف، ونحو ذلك.

وهذا بخلاف غيرها من الفرق التي تنتسب إما إلى رجل، وإما إلى رأي محدث، أو طريقة مبتدعة.

فرق الخوارج.

التعريف بالخوارج.

تعريف الخوارج لغة: الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس. وقد أطلقت كلمة الخوارج هذه في كتب اللغة على طائفة من أهل الآراء والأهواء لخروجها على الدين أو على الإمام علي رضي الله عنه.

تعريف الخوارج اصطلاحاً: اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي، وحاصل ذلك:

- منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان. قال الشهرستاني: (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان).
- ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه. قال الأشعري: (والسبب الذي سُموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب).
- زاد ابن حزم بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن. وهو يتفق مع تعريف الشهرستاني.
- وعرفهم بعض علماء الإباضية بأنهم طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين أولهم نافع بن الأزرق، ولم أر هذا التعريف عند أحد غير الإباضية.
- وهذا التعريف يريد منه أن لا علاقة بين المحكمة الأولى - الذين لا يعتبرهم خوارج لشرعية خروجهم كما يزعم - وبين من بعدهم إلى قيام نافع سنة ٦٤هـ، وهذا التعريف غير مقبول.
- ويبقى الراجح هو التعريف الثاني؛ لكثرة من مشى عليه من علماء الفرق في تعريفهم بفرقة الخوارج، وقيام حركتهم ابتداء من خروجهم في النهروان، وهو ما يتفق أيضاً مع مفهوم الخوارج كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية أحدثت في التاريخ الإسلامي دويماً هائلاً.

نشأة الخوارج.

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم، وخلاصة ذلك ما يلي:

- أنهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
- أنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه.
- أنهم نشأوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير، كما يزعم بعض علماء الإباضية.

- أو حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيشه كما هو الراجح.

- أو أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة ٦٤هـ،

وفيما يلي مناقشة تلك الأقوال وبيان الصحيح منها:

- أما بالنسبة للقول الأول، فإن المقصود به ما وقع للرسول صلى الله عليه وسلم من قيام ذي الخويصرة- عبد الله ذي الخويصرة التميمي- في إحدى الغزوات في وجه الرسول معترضاً على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم للفيء، وأنه لم يعدل - حاشاه - في قسمتها.
- وقد قال بهذا القول كثير من العلماء منهم: الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزي، والآجري، إلا أنه ينبغي التفريق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما، وظهور الخوارج كفرقة لها آراء وتجمع قوي. فذو الخويصرة لا يعتبر في الحقيقة زعيماً للخوارج، لأن فعلته حادثة فردية- تقع للحكام كثيراً- ولم يكن له حزب يتزعمه ولا كان مدفوعاً من أحد - إلا طمعه وسوء أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فيمكن القول بأن نزعة الخروج قد بدأت بذرتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- وأما بالنسبة للقول الثاني، فهو رأي لبعض العلماء أيضاً كابن كثير وابن أبي العز، ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص، ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا فرقة مستقلة - وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام - إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم.

- وأما بالنسبة للقول الثالث؛ فهو لبعض رجال الإباضية، فإنه قول مردود؛ فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما لا يصح وصفهما بالخوارج ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة، وكان معهما أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد شهد الله لها بالإيمان، وطلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.

• وأما بالنسبة للقول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق؛ فإنه لم يقل به غير من ذكرنا من علماء الإباضية؛ لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن سار على طريقتهم وبين الأزارقة بعدهم، وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة إلى ظهور نافع بن الأزرق.

والحاصل أن الخوارج بالمعنى الصحيح اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة، التي خرجت عن جيش علي رضي الله عنه والتحموا معه في معركة النهروان.

أسماء الخوارج. للخوارج أسماء كثيرة منها:

١- الخوارج . وهو أشهر أسمائهم، هم يقبلونه باعتبار وينفونه باعتبار آخر، يقبلونه على أساس أنه مأخوذ من قول الله عز وجل: { وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [سورة النساء: ١٠٠]. وهذه تسمية مدح.

وينفونه إذا أريد به أنهم خارجون عن الدين أو عن الجماعة أو عن علي رضي الله عنه؛ لأنهم يزعمون أن خروجهم على علي رضي الله عنه كان أمراً مشروعاً بل هو الخارج عليهم في نظرهم.

٢- الحرورية .نسبة إلى المكان الذي خرج فيه أسلافهم عن علي رضي الله عنه، وهو قرب الكوفة.

٣- الشراة .نسبة إلى الشراء الذي ذكره الله بقوله تعالى: { إِنْ اللَّاءَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [التوبة: ١١١] . وهم يفتخرون بهذه التسمية، لأنهم يعتبرون أنفسهم شراة باعوا أنفسهم لله، ومنه قولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة.

٤- المارقة . ويرون أن هذه التسمية من تسمية خصوم الخوارج، لتتطبق عليهم أحاديث المروق الواردة في (الصحيحين) في مروقهم من الدين كمروق السهم من الرمية. عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((سيخرج قوم في آخر الزمان ، حداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة)) وهي تسمية قديمة قد أطلقها عليهم مخالفوهم منذ خروجهم عن جيش الإمام علي.

٥- المحكمة . وهي من أول أسمائهم التي أطلقت عليهم، وقيل: إن السبب في إطلاقها عليهم إما لرفضهم تحكيم الحكّمين، وإما لتردادهم كلمة (لا حكم إلا لله) وهو الراجح، وهي كلمة حق أريد بها باطل، ولا مانع أن يطلق عليهم لكل ذلك، غير أن السبب الأول ينبغي فيه معرفة أن الخوارج هم الذين فرضوه أولاً، وهم يفتخرون بهذه التسمية.

٦- النواصب. وتسميتهم بالنواصب فلمبالغتهم في نصب العداء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أهم فرق الخوارج. الخوارج فرق كثيرة، وأهمها:

١- الأزارقة : وهم أتباع نافع بن الأزرق، الذي ظهر أمره في خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه.

أهم عقائدهم:

- ١- تكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما.
- ٢- تكفير مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار.
- ٣- تكفير من خالفهم من المسلمين، بل من لم يهاجر إليهم ولو كان على مذهبهم.
- ٤- الحكم بأن دار مخالفيهم من المسلمين دار كفر.
- ٥- إسقاط حد الرجم والقذف.

٢- النجدات: وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، الذي انشق عن نافع.

أهم عقائدهم:

١- تكفير من خالفهم من المسلمين -ومن ذلك الأزارقة - إلا الجاهل، فإنه معذور عندهم حتى تقام عليه الحجة.

٢- الحكم على دار مخالفيهم بأنها دار نفاق لا دار كفر.

٣- موالاتة أصحاب الحدود والجنائيات، إذا كانوا على مذهبهم، مع الحكم بتخليدهم في النار.

٤- أن المؤمن -وهو من كان على مذهبهم- لا يكفر بمجرد فعل الكبيرة، كما تقول الأزارقة بل بالإصرار على المعصية كبيرة كانت أم صغيرة.

٣- الأباضية : وهم أتباع عبد الله بن أباض التميمي، الذي انشق عن نافع بن الأزرق.

والإباضية هي الفرقة الوحيدة من الخوارج، التي استمرت إلى عصرنا الحاضر، ولهذا تأثرت بما حدث من فرق وبدع بعد القرن الأول، وخاصة بالمعتزلة.

ومن فرق الإباضية:

- أ- الحفصية. وهم أتباع حفص بن أبي المقدام.
- ب- اليزيدية. وهم أتباع يزيد بن أنيسة.
- ج- الحارثية. وهم أتباع حارث بن يزيد الإباضي.
- د- النكارية. وهم أتباع أبو قدامة الذي ثار في وجه إمام الإباضية بالمغرب عبد الوهاب بن رستم وسميت بالنكارية لإنكارهم إمامة ابن رستم.
- هـ- النفائية. نسبة إلى رجل يسمى فرج النفوسي المعروف بابن النفاث، ونفوسة هي جبل يقع في ليبيا يسمى (جبل نفوسة).

و- الخلفية. نسبة إلى خلف بن السمح.

ز- السكاكية. وهم أتباع عبد الله بن السكاك الذي نادى بأقوال تخرجه من الإسلام.

ح- الحسينية. وهم أتباع أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي.

ط- الفرثية. وهم أتباع أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح.

وكثير من مؤرخي الفرق ذكر أن هذه الفرق هي ضمن فرق الإباضية الموجودة بالمغرب العربي.

أهم عقائدهم:

١- إنكار صفات الله تعالى، موافقة لمذهب المعتزلة.

٢- أن القرآن مخلوق.

٣- أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لا يخرج منها، هذا مع عدم حكمهم بتكفيره ككفر أكبر.

٤- أن من يثبت رؤية الله تعالى في الآخرة كافر.

٥- التأويل، فهم يؤولون في الصفات، كما يؤولون الصراط والميزان.

أماكن وجود الإباضية.

قامت للإباضية دولتان: الأولى في المغرب وكانت نتيجة لانتشار قبائل البربر.

الثانية في المشرق في سلطنة عمان نتيجة فرار بعض الخوارج إليها لبعدها عن مقر الخلافة

ولمسالكها الوعرة.

فرق الشيعة

التعريف بالشيعة لغة واصطلاحاً :

الشيعة لغة :أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة.

وقال الزبيدي: (كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة).

الشيعة اصطلاحاً :اختلف العلماء في ذلك إلى أقوال هي:

١- أنه علم بالغبلة على كل من يتولى علياً وأهل بيته.

٢- هم الذين نصرُوا علياً واعتقدوا إمامته نصاً، وأن خلافة من سبقه كانت ظلماً له.

٣- هم الذين فضّلوا علياً على عثمان رضي الله عنهما.

٤- الشيعة اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً،

ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة. وكلها تعريفات غير جامعة ولا مانعة إلا واحداً منها.

مناقشة تلك الأقوال :

أما التعريف الأول: فهو غير سديد، لأن أهل السنة يتولون علياً وأهل بيته، وهم ضد الشيعة.

وأما التعريف الثاني: فينقضه ما ذهب إليه بعض الشيعة من تصحيحهم خلافة الشيخين، وتوقف بعضهم في عثمان، وتولي بعضهم له كبعض الزيدية فيما يذكر ابن حزم. ثم أيضاً ما يبدو عليه من قصر الخلافة في علي رضي الله عنه فقط دون ذكر أهل بيته.

والتعريف الثالث غير صحيح كذلك؛ لانتقاضه بما ذهب إليه بعض الشيعة من البراءة من عثمان رضي الله عنه.

ويبقى الراجح من تلك التعريفات الرابع منها لضبطه تعريف الشيعة كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية.

متى ظهر التشيع :

اختلفت أقوال العلماء من الشيعة وغيرهم في تحديد بدء ظهور التشيع تبعاً لاجتهاداتهم وحاصل الأقوال هنا:

١- أنه ظهر مبكراً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يديه حيث كان يدعو إلى التوحيد ومشايعة علي جنباً إلى جنب.

وقد تزعم هذا القول محمد حسين الزين من علماء الشيعة وغيره. وهو ما ذكره النوبختي أيضاً في فرقه وهو ما أكده أيضاً الخميني في عصرنا الحاضر، بل ذهب حسن الشيرازي إلى القول: (بأن الإسلام ليس سوى التشيع، والتشيع ليس سوى الإسلام، والإسلام والتشيع اسمان مترادفان لحقيقة واحدة أنزلها الله، وبشر بها الرسول صلى الله عليه وسلم).

٢- أنه ظهر في معركة الجمل حين تواجه علي وطلحة والزبير، وقد تزعم هذا القول ابن النديم حيث ادعى أن الذين ساروا مع علي واتبعوه سموا شيعة من ذلك الوقت.

٣- أنه ظهر يوم معركة صفين، وهو قول لبعض علماء الشيعة كالحونساري، وابن حمزة، وأبو حاتم. كما قال به أيضاً غيرهم من العلماء، مثل ابن حزم، وأحمد أمين.

٤- أنه كان بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، وهو قول كامل مصطفى الشبيبي وهو شيعي؛ حيث زعم أن التشيع بعد مقتل الحسين أصبح له طابع خاص.

٥- أنه ظهر في آخر أيام عثمان وقوي في عهد علي رضي الله عنهما.

مناقشة الأقوال السابقة :

الواقع أن القول الأول الذي قالت به الشيعة مجازفة وكذب صريح لا يقبله عقل ولا منطق، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعث لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الوثنية إلى التوحيد، وإلى جمع الكلمة وإلى عدم التحزب، والقرآن والسنة مملوءان بالدعوة إلى الله وعدم الفرقة. ولعل الراجح من تلك الأقوال هو القول الثالث - أي بعد معركة صفين - حين انشقت الخوارج وتحزبوا في النهروان، ثم ظهر في مقابلهم أتباع وأنصار علي رضي الله عنه، ثم بدأت فكرة التشيع تشتد شيئاً فشيئاً.

وأما ادعاء من يدعي بأن هذه اللفظة كانت شائعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما كان التشيع موجوداً في عصره والشيعة موجودون في زمنه فلا ينهض به دليل ولا يقوم به برهان. ولا يخفى ما فيه من المجازفة بالقول والغلو لأن معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدع إلى الإسلام وإلى وحدانية الله عز وجل والإقرار برسالته وطاعته وإلى الاتحاد والاتفاق والتآلف والمحبة والمودة بل كان يدعو إلى التحزب والتفرق والتشيع لعلي رضي الله عنه دون غيره، كما أنه

حسب دعوى (المظفري) كان يجعل علياً شريكاً له في نبوته ورسالته مع أن كلام الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي أنزله الرحمن وضمن حفظه قرآنه وبيانه خال من كل هذا.

بل وبالعكس ذلك أنه ملىء بالدعوة إلى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاعتصام بحبل الله وحده والتمسك بالقرآن والسنة والتجنب لما سواهما كما أمر المسلمين بالاتفاق والاتحاد والتسمي باسم الإسلام والمسلمين وكذلك الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشتمل ولا تصرح إلا بهذا كله لا غير فلقد قال الله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ } [الأنفال: ٢٠].

وقال: تعالى: { أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } [محمد: ٣٣] وقال: { ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } وقال: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: ١١٥] وقال: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب: ٣٦] وقال: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ } [النساء: ٦٥] . إلى غير ذلك من الآيات .

المراحل التي مر بها مفهوم التشيع :

● كان مدلول التشيع في بدء الفتن التي وقعت في عهد علي رضي الله عنه بمعنى المناصرة والوقوف إلى جانب علي رضي الله عنه ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة.

وفي هذه المرحلة لم يكن منهم بغي على المخالفين لهم، فلم يكفروهم، ولم يعاملوهم معاملة الكفار بل يعتقدون فيهم الإسلام، وأن الخلاف بينهم لم يعد وجهة النظر في مسألة سياسية حول الخلافة .

وقد أثمر موقف الإمام علي رضي الله عنه هذا فيما بعد، إذ كان تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية انطلاقةً من هذه المواقف الطيبة التي أبدأها والده رضي الله عنهما.

● ولم يقف الأمر عند ذلك المفهوم من الميل إلى علي رضي الله عنه ومناصرته، إذ انتقل نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي رضي الله عنه على سائر الصحابة، وحينما علم علي بذلك

غضب وتوعد من يفضله على الشيخين بالتعزير، وإقامة حد الفرية عليه.

وقد كان المتشيعون لعلي في هذه المرحلة معتدلين، فلم يكفروا واحداً من المخالفين لعلي رضي الله عنه ولا من الصحابة، ولم يسبوا أحداً، وإنما كان ميلهم إلى علي نتيجة عاطفة وولاء. وقد اشتهر بهذا الموقف جماعة من أصحاب علي، قيل منهم أبو الأسود الدؤلي، وأبو سعيد يحيى بن يعمر، وسالم بن أبي حفصة، ويقال: إن عبد الرزاق صاحب (المصنف في الحديث) وابن السكيت على هذا الاتجاه.

● ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب التطرف والخروج عن الحق، وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار ابن سبأ توثي ثمارها الشريرة فأخذ هؤلاء يظهرون الشر، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرءون منهم، ولم يستثنوا منهم إلا القليل كسلمان الفارسي، وأبي ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وحذيفة، وحكموا على كل من حضر (غدير خم) بالكفر والردة لعدم وفائهم - فيما يزعم هؤلاء - ببيعة علي وتنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بعلي في (غدير خم) المذكور. وكان عبد الله بن سبأ هو الذي تولى كبر هذه الدعوة الممقوتة الكافرة، وقد علم علي بذلك فنفاه إلى المدائن وقال: (لا تساكني ببلدة أبدأ).

● وأخيراً بلغ التشيع عند الغلاة إلى الخروج عن الإسلام، حيث نادى هؤلاء بالوهية علي. وقد تزعم هذه الطبقة ابن سبأ، ووجد له آذاناً صاغية عند كثير من الجهال، ومن الحاقدين على الإسلام. وقد أحرق علي رضي الله عنه بالنار كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر، وكان له مع ابن سبأ موقف نذكره بالتفصيل عند ذكر فرقة السبئية.

أسماء الشيعة :

١- الشيعة: وهو أشهر اسم من أسمائهم، ويشمل جميع فرقهم، ولا خلاف بين العلماء في إطلاقه عليهم كاسم علم.

٢- الراضية: وقد أطلقه عليهم بعض العلماء فجعله اسماً لجميع الشيعة.

٣- الزيدية: وهي تسمية لبعض الناس يطلقونها على جميع الشيعة.

وكل هذه الأسماء الثلاثة وردت من خلال كتابات بعض العلماء عن طائفة الشيعة، واختيار كل منهم للاسم الذي يطلقه عليهم لا أن هذه التسميات بالاتفاق أو بهذا الترتيب.

والواقع أن إطلاق اسم الراضية على عموم الشيعة، بمن فيهم بعض فرقهم كالزيدية التي

نشأت في نهاية القرن الأول للهجرة غير سديد، لأن التسمية -رافضة- إنما أخذت من قول زيد بن علي لبعض الشيعة: (رفضتموني) فسموا الرافضة.

فرق الشيعة:

انقسمت الشيعة إلى فرق عديدة، أوصلها بعض العلماء إلى ما يقارب سبعين فرقة. ودراسة تلك الفرق قد يتضح أن منهم الغلاة الذين خرجوا عن الإسلام وهم يدعون ويدعون التشيع، ومنهم دون ذلك، ويمكن أن تقتصر على دراسة أربع فرق كان لها دور بارز في العالم الإسلامي وهي:

١- السبئية : وهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي.

قيل: إنه من الحيرة بالعراق، وقيل: -وهو الراجح- إنه من أهل اليمن من صنعاء، وقيل أصله رومي. أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكرًا، وكان من أشد المحرضين على الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وقعت الفتنة.

وهو أول من أسس التشيع على الغلو في أهل البيت، ونشط في التنقل من بلد إلى بلد؛ الحجاز والبصرة والكوفة، ثم إلى الشام، ثم إلى مصر وبها استقر، ووجد آذاناً صاغية لبث سمومه ضد الخليفة عثمان والغلو في علي، وهذا النشاط منه في نشر أفكاره مما يدعو إلى الجزم بأن اليهود يؤمنون، إذ كلما طرد من بلد انتقل إلى آخر بكل نشاط، ولا شك أنه يحتاج في تنقله هو وأتباعه إلى من يؤمهم وينشر آراءهم، ومن يتولى ذلك غير اليهود الذين آزره في إتمام خطته ليحنوا ثمارها بعد ذلك الفرقة وتجهيل المسلمين والتلاعب بأفكارهم.

وقد بدأ ينشر آراءه متظاهراً بالغيرة على الإسلام، ومطالباً بإسقاط الخليفة إثر إسلامه المزعوم. ثم دعا إلى التشيع لأهل البيت وإلى إثبات الوصاية لعلي إذ إنه -كما زعم- ما من نبي إلا وله وصي، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء بحكم أنه وصي خير الأنبياء.

ثم دعا إلى القول بالرجعة، ثم إلى القول بألوهية علي، وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء، وأن المقتول إنما هو شيطان تصور في صورة علي، وأن الرعد صوت علي، والبرق سوطه أو تبسمه، إلى غير ذلك من أباطيله الكثيرة.

٢- الكيسانية : بدأ ظهور هذه الفرقة بعد قتل الخليفة الراشد علي رضي الله عنه، وعرفوا

بهذه التسمية واشتهروا بمولاتهم لمحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، وظهر تكونهم

بعد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهما.

فحينما تم الصلح مالوا عن الحسن والحسين وقالوا بإمامة محمد بن الحنفية، وقالوا: إنه أولى بالخلافة بعد علي، وهو وصي علي بن أبي طالب، وليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه أو يخرج بغير إذنه.

وقالوا: إن الحسن خرج لقتال معاوية بأمر محمد بن الحنفية، وإن الحسين خرج لقتال يزيد بإذن ابن الحنفية، بل وقالوا: بأن من خالف ابن الحنفية فهو مشرك كافر.

وفرقة من هؤلاء الكيسانية قالوا: إن الإمامة لعلي ثم الحسن ثم الحسين ثم لابن الحنفية لأنه أولى الناس بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن.

وقد اختلف في كيسان زعيم الكيسانية: فقيل: إن كيسان رجل كان مولى لعلي بن أبي طالب. وقيل: بل كان تلميذاً لمحمد بن الحنفية .

٣- الزيدية : إحدى فرق الشيعة ، نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ، الذي صاغ نظرية شيعية في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

وقت وجودهم قبل اتصالهم بزيد :

وجدت هذه الطائفة قبل انضمامهم لزيد بن علي، وكانت عقيدتهم هي الرفض، ولهذا طلبوا من زيد أن يوافقهم على أهوائهم ويتبرأ من الشيخين فخب آمالهم وانفصلوا عنه. وسبب ذلك يعود إلى تشبعهم بأفكار اليهودي ابن سبأ، وانحرافهم التام عن التشيع لأهل البيت الذي كان عبارة عن الحب والمناصرة.

أسمائهم قبل اتصالهم بزيد :ومن أسمائهم في تلك الفترة:

١- الخشبية : وسبب تسميتهم بالخشبية: أنهم - كما قيل - كانوا يقاتلون بالخشب ولا يجيزون القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم من آل البيت.

٢- الإمامية : وسبب تسميتهم بالإمامية: لزعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً وبقيناً صادقاً، ولم يكتب فيه بالوصف بل صرح بالاسم لعلي ولأولاده من بعده - كما يدعي هؤلاء.

٤- الرفضة : والرفضة الاثنا عشرية هي الواجهة البارزة في عصرنا الحاضر للتشيع.

ولذلك سنفردها بمزيد من التفصيل إن شاء الله تعالى .

معنى الرفضة لغة واصطلاحاً :

الرفض في اللغة يأتي بمعنى الترك. يقال: رفض يرفض رفضاً، أي ترك. وعرفهم أهل اللغة

بقولهم: والروافض كل جند تركوا قائدهم ، هذا هو معنى الرفض في اللغة.

وأما في الاصطلاح: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين

رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي رضي الله عنه وذريته من

بعده بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن خلافة غيرهم باطلة.

سبب تسميتهم بالرفضة . أطلقت عليهم لأسباب كثيرة:

١- إما لأنهم رفضوا مناصرة زيد بن علي .

٢- أو لرفضهم أئمتهم وغدرهم بهم.

٣- أو لرفضهم الصحابة وإمامة الشيخين.

٤- أو لرفضهم الدين.

٥- وقيل سموا بهذه التسمية من قبل خصومهم للتشفي منهم.

ولعل الراجح هو أنهم سموا رافضة لأنهم يرفضون الشيخين وقد رفضوا زيدا كذلك إذ لم يرض

مذهبهم.

فرق الروافض :

لقد تفرقت الشيعة الروافض إلى أقسام كثيرة لم يتفق العلماء على عددها، والكل يجمعهم

معتقد واحد حول الإمامة وأحقية علي بها، وأولاده من بعده، ورفض من عداهم. وأشهر فرق

الروافض: الشيعة الاثنا عشرية - كما سندرسهم بالتفصيل - ، وفرقة أخرى منهم تسمى المحمدية ،

وسنقتصر على دراسة هاتين الطائفتين .

أولاً: المحمدية:

خلاصة أمر هذه المحمدية أنهم طائفة يعتقدون أن الإمام والمهدي المنتظر هو محمد بن عبد

الله بن الحسن بن علي، ويعرف بالنفس الزكية. ولد محمد سنة ٩٣ هـ ، ويوصف بأنه كان فاضلاً

صاحب عبادة وورع، ولذا أطلق عليه لقب النفس الزكية.

خرج بالمدينة المنورة سنة ١٤٥ هـ على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى الهاشمي، فدارت المعركة على محمد فسقط قتيلاً بعد مدة قليلة من إعلان خروجه.

ومما يجدر ذكره أن شخصاً ماكرًا اسمه المغيرة بن سعيد العجلي كانت له آراء ضالة استغل توجه الناس إلى محمد بن علي بن الحسن فأخذ يدعو الناس إلى البيعة لمحمد، وجدّ في ذلك، وزعم للناس أن المهدي المنتظر قد خرج، وأنه محمد بن الحسن، وبشر الناس بأن ملكه سيمتد طويلاً ويعيد الأمور إلى نصابها ويملاً الأرض عدلاً، وأن علي الجميع أن يبادروا بالطاعة والانطواء تحت لوائه للقيام بواجبهم نحو المهدي.

وحينما قتل محمد في أول لقاء مع عيسى بن موسى أسقط في يد أتباعه من هؤلاء الحمقى الذين صدقوا أقواله وانقسموا فيما بينهم، فطائفة تبرأت من المغيرة وقالوا: لا يجوز لنا متابعتة بعد أن ظهر كذبه، فإن محمد بن عبد الله بن الحسن مات مقتولاً ولم يملك ولا يملأ الأرض عدلاً، ولو كان هو المهدي لتكفل الله بظهوره. وطائفة أخرى -لأغراض في أنفسهم ولبقاء شوكتهم- استمروا على الولاء للمغيرة ولمحمد بن عبد الله بن الحسن، ولجأوا إلى أقوال السبئية، فقالوا: إن محمداً لم يقتل، وإنما المقتول كان شيطاناً تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن، وأن محمداً لا يزال حياً في جبل حاجر بنجد، ولا بد أن يظهر مرة أخرى، ويملاً الأرض عدلاً، وأن البيعة ستعقد له بين الركن والمقام في بيت الله الحرام بمكة وقد استمر المغيرة على ضلالاته حتى قتله خالد بن عبد الله القسري.

ثانياً: الاثنا عشرية:

هذه هي الواجهة الرئيسية والوجه البارز للتشيع في عصرنا الحاضر وهم القائمون على نشر هذا المذهب الرافضي والممول له بشتى الطرق والأساليب، وتعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة، وأكثرها انتشاراً في العالم، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها العقيدة الشيعية،

أسماء الاثنا عشرية وسبب تلك التسميات :

للاثني عشرية أسماء تطلق عليهم، بعضها من قبل مخالفينهم وبعضها من قبلهم هم، وهذه الأسماء هي:

أولاً: الاثنا عشرية : وسبب تسميتهم بها لاعتقادهم وقولهم بإمامة اثني عشر رجلاً من آل البيت، ثبتت إمامتهم -حسب زعمهم- بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وكل واحد منهم يوصي بها لمن يليه. وأولهم: علي - رضي الله عنه- و آخرهم محمد بن الحسن العسكري المزعوم الذي اختفى في حدود سنة ٢٦٠هـ ، وسيعود بزعمهم ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويسير الخير بين الناس وافراً إلى آخر مزاعمهم الكثيرة، وفيه قال الشيرازي: (كما تسمى الشيعة بالاثني عشرية لأنهم يعتقدون بإمامة الأئمة الاثني عشرية).

وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر هم:

- علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .
- الحسن بن علي - رضي الله عنه - .
- الحسين بن علي - رضي الله عنه - .
- علي بن الحسين .
- محمد بن علي بن الحسين الباقر .
- جعفر بن محمد بن الحسين - أبو عبد الله - الصادق - .
- موسى بن جعفر الكاظم .
- علي بن موسى - الرضي - .
- محمد بن علي - الجواد - .
- علي بن محمد الهادي .
- الحسن بن علي العسكري .
- محمد بن الحسن العسكري - المهدي -

ومن الملاحظ أن الشيعة الاثني عشرية حصروا الإمامة في أولاد الحسين بن علي دون أولاد الحسن - رضي الله عنهما-، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تزوج الحسين بن علي بنت ملك فارس يزدجرد، ومجيء علي بن الحسين منها.

ولكل إمام من هؤلاء الأئمة الاثني عشر لقب عرف به، وهذه الألقاب هي على الترتيب: علي المرتضى، والحسن المجتبي، والحسين الشهيد، وعلى زين العابدين السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد التقي، وعلي الهادي النقي، والحسن

العسكري الزكي، ومحمد المهدي القائم بالحجة.

ثانياً: الجعفرية: نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق الذي بنوا مذهبهم في الفروع على أقواله وآرائه - كما يزعمون- وهو بريء من أكاذيب الشيعة هذه، فإنهم يسندون إليه أقوالاً واعتقادات لا يقول بها من له أدنى بصيرة في الإسلام، فكيف به؟ وهذا الاسم من أحب الأسماء إليهم بخلاف تسميتهم بالرافضة، فإنهم يتأذون منه، وهم أحق بتسميتهم بالرافضة لا الجعفرية؛ لأنهم لا يعرفون مذهب جعفر الصادق، وإنما هي تخرصات جمعوها، وتلفيقات استحسنتها ثم نسبوها إليه، وأكثرها مما لا يرضي الله ورسوله، بل ولا يقوله عاقل ولا طالب علم يعرف الشريعة الإسلامية، ومع ذلك يتبجح الشيعة بانتسابهم إليه ظلماً وزوراً.

لقد كان جعفر الذي تنتسب إليه الجعفرية غزير العلم في الدين، وافر الحكمة، كامل الأدب، زاهداً ورعاً متساعياً بعيداً عن الغلو، ولم يكن يؤمن بالغيبة أو الرجعة أو التناسخ، كما أنه كان بعيداً عن الاعتزال. وكان ينتسب من ناحية الأب إلى العترة النبوية المباركة، ومن ناحية الأم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ثالثاً: الإمامية: إما نسبة إلى الإمام (الخليفة) لأنهم أكثروا من الاهتمام بالإمامة في تعاليمهم كما هو واقع بحوثهم.

أو لزعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي وأولاده، واختار هذا التعريف الشهرستاني.

أهم عقائدهم.

- ١- أن الإمامة (الخلافة) ركن من أركان الدين، ويجب على النبي أن يعين الخليفة من بعده.
- ٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على تعيين علي إماماً بعده، وقد نزلت عليه بذلك آيات من القرآن، ولكن الصحابة اتفقوا على كتم هذه الآيات والأحاديث، وخالفوها، واغتصب أبو بكر وعمر وعثمان الخلافة، وبذلك كفر الصحابة، وخرجوا من الإسلام، إلا عدداً قليلاً جداً.
- ٣- أن الأئمة معصومون عن السهو والغفلة، والخطأ والنسيان، ويتلقون العلم من الله مباشرة، ويعلمون ما كان وما سيكون، وتخضع لهم جميع ذرات الوجود، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيارهم. ويجوز دعاؤهم، والاستغاثة بهم، والتسمية بالعبودية لهم.

٤- أن الأئمة اثنا عشر إماماً، أولهم: علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين،

الذي أمه بنت كسرى، ثم تتابع في ذريته إلى الإمام الثاني عشر الموهوم محمد بن الحسن العسكري الذي يعتقدون أنه اختفى في السرداب بسامرا سنة (٢٦١هـ) وسوف يخرج آخر الزمان، ويحكم الناس بحكم داود، ويأمر بإحياء أعداء علي وأهله، وأولهم أبو بكر وعمر، ثم سائر الصحابة والخلفاء، وملوك المسلمين إلى زمن خروجه، فيقتلهم جميعاً.

٥- أن القرآن فيه تحريف ونقص، أحدثهما الصحابة فيه، والمصحف الكامل هو مصحف علي، الذي ورثه الإمام الثاني عشر، ودخل به السرداب، وهو ثلاثة أضعاف هذا القرآن، وليس فيه من قرآن أهل السنة حرف واحد. ويسمونه أيضاً: مصحف فاطمة، ويحاول مجتهدوهم تجميعه من خلال الروايات الموضوعية على أئمة أهل البيت. ولكنهم يروون عن أئمتهم الوصية بقراءة هذا القرآن، وجواز التعبد والعمل به، إلى أن يظهر الإمام بالقرآن الحقيقي.

٦- اعتقاد أن القرآن مخلوق.

٧- إنكار صفات الله تعالى، وإنكار القدر.

٨- القول بالبداء، والرجعة، والتقية.

٩- السنة عندهم: لا يعترف الشيعة بكتب السنة المعروفة، مثل: صحيح البخاري وصحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد وكتب السنن الأخرى، وإنما السنة عندهم ما جاء من طريق آل البيت وحدهم، واهتمامهم بما يروى عن أئمتهم المعصومين - في نظرهم - أعظم مما عداه. وكما يخالفون أهل السنة في الأصول، يخالفونهم في معظم الأحكام الفقهية. ومن ذلك: أن الجهاد والجمعة غير واجبة عندهم، إلا إذا ظهر الإمام الذي في السرداب، وأنه حين يظهر ينشر العلم الخاص - بزعمهم - الذي يسمونه (علم الجفر) وفيه الفقه، والأحكام، والقرآن الكامل. وهذا مما يدل على أن الذين أسسوا هذا المذهب كانوا قاصدين تعطيل الشريعة.

المعتزلة.

المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

أصل تسمية المعتزلة.

اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية، وسنعرض أهم الآراء في ذلك، وما ورد على كل رأي من اعتراض، ثم نبين الرأي الأقرب للصواب.

الرأي الأول: الذي أورده كَتَّاب الفرق، كالبعثاني، والشهرستاني، ، ومن على شاكلتهما، والذي يفيد بأن كلمة "المعتزلة" لفظ أطلقه أعداؤهم من أهل السنة عليهم للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم، وتركوا مشايخهم القدامى، واعتزلوا قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة، فهو بهذا الاعتبار اسم يتضمن نوعاً من الذم، واتهاماً واضحاً بالخروج على السنة والجماعة، فالمعتزلي هو المخالف والمنفصل.

يقول الشهرستاني: ودخل رجل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين: لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبار، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان؛ بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلقاً؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه المعتزلة .

ويقول البغدادي: إن واصل بن عطاء زعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق في منزلتي الكفر والإيمان، وأن الحسن البصري لما سمع ذلك منه طرده من مجلسه، وانضم إليه صديقه عمرو بن عبيد، فقال الناس فيهما: إنهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة .

وهناك رواية تنسب الاعتزال إلى عمرو بن عبيد أوردها المقرئ في خطه حيث قال: "وقال

ابن منبه: اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن، فسموا المعتزلة .

وقد اعترض بعض الباحثين المعاصرين على أصل هذه التسمية، بأمر منها:

١- أن انتقال واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد من أسطوانة في المسجد إلى أخرى ليس بالأمر الهام الذي يصح أن تلقب به فرقة.

٢- اختلاف الرواة في سرد الرواية، فبعضهم ينسب حادثة الانفصال إلى عمرو بن عبيد، وبعضهم ينسبها إلى قتادة بن دعامة السدوسي، وهذا مما يضعف الرواية ويجعلها عرضة للنقد؛ فالذي فهم من رواية الشهرستاني مثلاً: هو أن الحسن البصري هو الذي قال لواصل بن عطاء حين اختلفا في مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة، (اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة).

أما ابن خلكان وجماعة معه، فيذكرون: أن الذي سماهم بهذا الاسم هو قتادة بن دعامة السدوسي، المتوفى سنة (١١٧) هـ، وكان قتادة من علماء البصرة، وأعلام التابعين، ومن أصحاب الحسن البصري، دخل يوماً مسجد البصرة وكان ضريراً فإذا بعمر بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا حلقة الحسن البصري وكونوا لهم حلقة خاصة وارتفعت أصواتهم، فأمرهم وهو يظن أنهم من حلقة الحسن، فلما صار معهم وعرف حقيقتهم قال: إنما هؤلاء المعتزلة، فسموا معتزلة من وقتها .

فاختلاف الرواة في المنفصل عن الحسن البصري، هل هو عمرو بن عبيد أو واصل بن عطاء؟ واختلاف المسمي هل هو الحسن البصري أم قتادة؟ مما يضعف الرواية ويشكك فيها .

هذه أهم الاعتراضات التي وردت على هذا الرأي.

الرأي الثاني: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن هذه الفرقة ولدت من نزعة ورع، وأنه كان من هؤلاء الجماعة الورعين المعتزلة، الزهاد الذين يعتزلون الناس، ويؤيد رأيه بشبهات، منها ما يلي:

١- أن بعض المصادر الأدبية استعملت فيها كلمة (معتزلي) كمرادف لكلمة (عابد) أو (زاهد)؛ فالاعتزال صفة يوصف بها الزاهد.

٢- ما عرف به أوائل المعتزلة من ميل للزهد والعبادة، وأنهم كانوا يعتزلون العالم، ويحيون حياة التقشف والزهد، فيروى عن واصل بن عطاء أنه كان إذا جنه الليل صف قدميه ليصلي ولوح ودواة موضوعان فإذا مرت به آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ثم عاد في صلاته. وروى عن عمرو بن عبيد أنه كثيراً ما كان يصلي الفجر بوضوء المغرب، وأنه حج حجاً كثيرة ماشياً، وبعيره موقوف على من أحصر.

وقد رد على أصحاب هذا الرأي بأن المعتزلة من انفصلوا. وهم الذين اعتزلوا إخوانهم في مجلس الحسن البصري، وكانوا يؤمنون بحرية الإرادة. وكيف يمكن أن يكون اسم المعتزلة قد قصر على طائفة من الناس لم يكن الزهد فيهم العنصر المميز لهم حقا عن غيرهم، سواء كأفراد، أو كجماعة؟ أفلم يكن الزهد منتشرا بنفس الدرجة في الوسط الديني الذي اعتزله المعتزلة؟ أفلم يكن الحسن البصري مشهورا بالزهد، وهو أستاذ واصل. وإذا فهذا الرأي مردود.

الرأي الثالث: التفسير السياسي. ذهب أصحاب هذا الرأي أن منشأ الاعتزال من أصل سياسي، وأن المعتزلة الدينية أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد كانوا في الأصل استمرارا في ميدان الفكر والنظر لفئة سياسية سبقتها في الظهور، هي فئة المعتزلة السياسيين الذين ظهروا في حرب صفين، وقبلها في معركة الجمل، وقد أبدوا رأيهم بأدلة، منها ما يلي:

١- أن لفظ الاعتزال كثيرا ما يرد في كتب التاريخ، وفي لغة السياسة في القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني للهجرة للدلالة على الامتناع عن مناصرة أحد الفريقين المتنازعين، وعلى الوقوف موقف الحياد، كأن يرى الرجل فئتين متقاتلتين، ثم هو لا يقتنع برأي أحدهما أو رأي أن كلا الفريقين غير محق.

من ذلك ما نراه من إطلاق المؤرخين هذه الكلمة (المعتزلة) كثيرا على الطائفة التي لم تشارك في القتال بين علي وعائشة في حرب الجمل، وعلى الذين لم يدخلوا في النزاع بين علي ومعاوية، فقد ذكر الطبري في حوادث سنة (٣٦) هـ، أن قيس بن سعد - عامل مصر من قبل علي - كتب إليه يقول: "إن قبلي رجلا معتزلا قد سألوني أن أكف عنهم، وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس، فنرى ويرى رأيهم".

وفي موضع آخر يقول: "ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم، فقال: يا هؤلاء إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه: إنا لا نفعل، دعنا حتى ننظر إلى ما تصير إليه أمورنا، ولا تعجل بحربنا".

٢- هناك نصوص وشواهد مهمة تفيد أن مثل هذه الفئة المعتزلة التي وقفت على الحياد في الحروب المشار إليها أطلقت على نفسها اسم المعتزلة أو أطلق عليها اسم المعتزلة من ذلك ما يذكره الملطي إذ يقول: "وهم سمو أنفسهم معتزلة؛ وذلك عندما بايع الحسن بن علي - رضي الله عنه - معاوية وجميع الناس، وكانوا من أصحاب علي - رضي الله عنه - لزموا منازلهم

ومساجدهم وقالوا: نشغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة".

وما يقوله النوبختي: "لما قتل عثمان بايع الناس عليا، فسموا الجماعة ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة أقامت على ولاية علي - رضي الله عنه -، وفرقة اعتزلت مع سعد بن مالك وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد بن حارثة؛ فإن هؤلاء اعتزلوا عن علي وامتنعوا عن محاربتة، والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضا به، فسموا المعتزلة، وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد، وقالوا: لا يحل قتال علي ولا القتال معه.

وقد رد على هذا الرأي بأمور، منها:

١- أن أقوال المعتزلة الكلامية ليس فيها ما يثبت الأصل السياسي لنشأتهم. يقول الأستاذ كوريان: "إذا فكرنا مليا في مذهب الاعتزال، وفي حرية الاختيار؛ رأينا أن السياسية لا تشكل سببا كافيا لنشوءهما".

٢- لو صح أن هؤلاء الصحابة المعتزلين للفتنة كانوا أسلافا للمعتزلة لوجب اتفاهم معهم في أصول مذهبهم، فلما لم يتفقوا دل على بطلان هذا الرأي، فمثلا: مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة واجب بالسيف فما دونه، كيف قدروا على ذلك؟ فلو كان الصحابة المعتزلون للفتنة أسلافا للمعتزلة لوجب عليهم هذا الأصل قتال معاوية، ونحن نراهم قد توقفوا عن القتال وابتعدوا عن الفتنة؛ مما يدل على بطلان القول بأنهم أسلاف للمعتزلة، وعليه فيبطل هذا الرأي.

الرأي الرابع: ذهب أصحاب هذا الرأي - وهو رأي انفرادي به الدكتور أحمد أمين، فقد قال في كتابه (فجر الإسلام): - إلى أن سبب تسميتهم المعتزلة إشارة إلى ما ورد في خطط المقرئ من أن من بين الفرق اليهودية التي كانت منتشرة في ذلك العصر وما قبله طائفة يقال لها "الفروشيم" وقال: إن معناها المعتزلة.

وذكر بعضهم عن هذه الفرقة: أنها كانت تتكلم في القدر، وتقول: ليس كل الأفعال خلقها الله، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ قد أطلقه على المعتزلة قوم ممن أسلموا من اليهود لما رأوا بين الفرقتين من الشبه. وإن التشابه بين معتزلة اليهود ومعتزلة الإسلام موجود. فمعتزلة اليهود: يفسرون التوراة على مقتضى منطق الفلاسفة؛ ومعتزلة الإسلام: يتأولون كل ما في القرآن من أوصاف على مقتضى منطق الفلاسفة أيضا، فقد قال المقرئ في هؤلاء الفروشيم الذين ساهم المعتزلة قال: إنهم

يأخذون بما في التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم .
وهذا الرأي مردود لأمر منها:

١- أنه لم يرد له ذكر في كتب أهل الفرق المتقدمين الذين تعرضوا للمعتزلة بالبيان والتفصيل، فلو كان صحيحاً لأشير إليه على الأقل، كما أشير إلى الآراء الأخرى في بيان سبب تسميتهم بالمعتزلة.

٢- أن ما استدل به الدكتور أحمد أمين ضعيف واه لا يستند على دليل، بل إنه مجرد افتراض، والرأي الذي لا يبنى على دليل صحيح لا يعتد به.

٣- إن الشبه بين فئتين: المعتزلة والطائفة اليهودية التي يذكرها أحمد أمين لا يستلزم أن يكون سبب تسميتهم بالمعتزلة، وعلى هذا: فهذا الرأي مردود.

والرأي الأقرب للصواب في أصل تسمية المعتزلة - والله أعلم - أن اسم الاعتزال ظهر أثناء الحروب التي حصلت في عهد علي - رضي الله عنه - لكنه لم يطلق على فئة بعينها؛ بل من اعتزل عن السياسة أطلقت عليه، ومن اعتزل للعبادة أطلقت عليه، ثم إن وجود هذه الحروب مما أورث الخلاف بين المسلمين وتفرقتهم فرقا، كل فرقة ترى أنها على الصواب ومن سواها على الخطأ.

ومن ثم أخذوا يبحثون في حكمها، وأصبحت كل فرقة تضع حكما مخالفا للأخرى؛ مما ساقهم إلى البحث في حكم مرتكب الكبيرة، ووضعت بعض الفرق أحكاما متناقضة على إثرها حصلت قصة السائل الذي أتى إلى الحسن البصري في حلقة، وحكى له ما سمع من آراء متناقضة في حكم مرتكب الكبيرة، وطلب منه رأيه ثم إن أحد تلاميذ الحسن وهو واصل بن عطاء سبقه وأخرج حكما يخالف شيخه في مرتكب الكبيرة، وهو أنه في منزلة بين المنزلتين؛ وبسبب ذلك قال الحسن: اعتزلنا واصل ثم طرده من حلقة، فاعتزل في سارية من سواري مسجد البصرة يقرر ما أجاب به على جماعة استحسنوا رأيه وتابعوه، فسموا من ذلك الحين المعتزلة؛ لاعتزالهم الحسن وقول الأمة بأسرها وحكمهم على صاحب الكبيرة باعتزاله المؤمنين والكافرين .

وعلى ذلك؛ فظهور هذه التسمية على فرقة بعينها مستقلة، إنما حصل في حلقة الحسن البصري - رحمه الله - والله أعلم.

أما قول من اعترض على هذا الرأي باختلاف الرواة في سرد الرواية، وأن بعضهم ينسب

حادثة الانفصال إلى عمرو بن عبيد، وبعضهم ينسبها إلى واصل بن عطاء، وبعضهم ينسب التسمية إلى الحسن البصري، وبعضهم ينسبها إلى قتادة بن دعامة السدوسي، وأن هذا مما يضعف الرواية. فنقول: إن المنفصل هو واصل بن عطاء، وقد انفصل معه عمرو بن عبيد، فلا يمتنع أن يكون من قال بانفصال عمرو عن الحسن، وأنه سبب التسمية أن يكون قاصدا عمرا وواصلا ومن معهما، لأنه قال: عمرو وجماعة معه، فيكون النقاش دار بين الحسن وواصل، والانفصال من واصل وعمرو ومن معهما.

أما اختلاف المسمي هل هو الحسن أم قتادة؟؛ فهذا أيضا: لا يقدر في صحة الرواية؛ لأن المسمي الأول هو الحسن، أما قتادة فإنما قال شيئا قد حصل ومضى، ويدل عليه ألفاظ الرواية "فأمهم وهو يظن أنهم حلقة الحسن" ثم قال لقتادة: "إنما هؤلاء المعتزلة" ففي هاتين الجملتين دلالة على أن قتادة من مرتادي مجلس الحسن، وأنه كان يعرف سبب انفصالهم، وأن إطلاقه الاسم إنما كان بعد تكون الفرقة، وعلى هذا، فلا تعارض بين الروايتين.

ومما يؤكد ما ذكرناه ما يقوله المسعودي حيث قال: "وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين، وهو الأصل الرابع، فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر، بل يسمى فاسقا . . إلى أن قال: وبهذا الباب سميت المعتزلة؛ وهو الاعتزال .

أسماء المعتزلة . للمعتزلة أسماء كثيرة منها:

١- المعتزلة : بمعنى المنشقين، وقد بينا سبب تسميتهم بهذا الاسم عندما تكلمنا على أصل المعتزلة. لكن المعتزلة لما رأوا أنه لا خلاص لهم من هذا الاسم، أخذوا يبرهنون على فضله، وأن المراد به الاعتزال عن الأقوال المحدثثة والمبتدعة ، وبرهنوا على ما يقولون ببعض النصوص مثل قوله تعالى: **وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** [المزل: ١٠] . وذلك لا يكون إلا بالاعتزال عنهم.

٢- الجهمية: وسبب تلقيبهم بهذا اللقب، موافقة المعتزلة للجهمية في مسائل كثيرة، منها: نفي الرؤية والصفات، وخلق الكلام، فكأن توافق الفرقتين جعلهما كالفرقة الواحدة، وبما أن الجهمية أسبق ومسائلها أكثر وبعض مسائل المعتزلة مأخوذة منها، لذا أصبح يطلق على كل معتزلي جهمي، ولا يطلق على كل جهمي معتزلي. ولذلك أطلق أئمة الأثر لفظ الجهمية على المعتزلة فالإمام أحمد في كتابه (الرد على الجهمية) والبخاري في الرد على الجهمية، ومن بعدهما؛ إنما يعنون بالجهمية المعتزلة؛ لأنهم كانوا في المتأخرين أشهر بهذه المسائل من الجهمية.

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) : "لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس إلى التجهم وإبطال صفات الله تعالى . . . وطلبوا أهل السنة للمناظرة . . . لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط؛ بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة والنجارية والضرارية، وأنواع المرجئة، فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزليا؛ لأن جهما أشد تعطيلًا لنفيه الأسماء والصفات . . ."

٣- القدرية: كذلك يلقب المعتزلة بالقدرية. يقول البغدادي - وهو يسوق ما أجمعت عليه المعتزلة : " . . . وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس لله - عز وجل - في أكسابهم وفي أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير. ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية. إلا أن المعتزلة لا يرضون بهذا الاسم؛ ولذا يقولون: إنه أولى أن يطلق على القائلين بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

ولكن ابن قتيبة يرى: أن المعتزلة نفوا القدر عن الله وأضافوه إلى أنفسهم، فوجب أن يسموا قدرية، لأن مدعي الشيء لنفسه أحق أن يدعى به .

٤- الثنوية والجوسية: يقول المقرئ: إن المعتزلة يدعون الثنوية، لقولهم الخير من الله، والشر من العبد.

ولما كان هذا القول يشبه قول الثنوية الجوسية، فإن المعتزلة اكتسبوا علاوة على أسمائهم العديدة اسم الجوسية. ولا شك أن المعتزلة لا يقبلون هذا الاسم، وهم إنما تنصلوا من اسم القدرية وأنكروه بشدة تخلصا من وصمة لقب الجوسية، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم ذم القدرية بتسميتها بجوس هذه الأمة.

٥- الوعيدية: سمو بهذا الاسم نسبة إلى قولهم بالوعد والوعيد، وهذا القول أحد الأركان التي يقوم عليها الاعتزال، ومعناه: أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، وأنه لا يغفر الذنوب إلا من بعد التوبة.

٦- المعطلة: كان أهل السنة يطلقون على الجهمية الأولى نفاة الصفات اسم المعطلة لتعطيلها الله تعالى عن صفاته. أي تجريده تعالى منها، وكانوا يقصدون من وراء هذه التسمية ذم الجهمية وهجوها، فإن أهل الموصل أخذوا بعد هزيمة مروان بن محمد يسبونه وينادونه: يا معطل، لأن مروان كان على مذهب المعطلة.

وحين قام المعتزلة واقتبسوا عن الجهمية الأولى قولها بنفي الصفات، لزمهم اسم المعطلة. يقول الشهرستاني: إن من معاني التعطيل تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي تدل عليها. وبما أن المعتزلة كانوا يلجأون في الآيات التي لا توافق أغراضهم إلى التأويل، فلا يبعد أن يكون سببا آخر في تسميتهم بالمعطلة ونحن نجد بعض أهل السنة كابن القيم يستعملون في كلامهم عن المعتزلة لفظ المعطلة للدلالة عليهم، فقد وضع ابن القيم كتابه (الصواعق المرسله) في الرد على الجهمية والمعطلة، وهو يقصد الرد على المعتزلة بالدرجة الأولى.

٧- أهل العدل والتوحيد: أطلق المعتزلة على أنفسهم أهل العدل والتوحيد والعدلية، ولذا ولذا يسمون أنفسهم بالعدلية، وأهل العدل والتوحيد.

أما مؤرخو أهل السنة الذين قالوا: إن المعتزلة يدعون أنفسهم أهل العدل والتوحيد فكثيرون، منهم: الشهرستاني حيث قال: ". . . ويسمون أصحاب العدل والتوحيد . . . والعدلية" . فهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، ويعنون بالعدل نفي القدر، والقول بأن الإنسان موجد أفعاله تنزيها لله تعالى أن يضاف إليه شر، ويعنون بالتوحيد نفي الصفات القديمة . والمعتزلة يفضلون أن يدعوا بهذا الاسم؛ ذلك أنه علاوة على المعنى الحسن الذي يتضمنه، فإنه مشتق من أهم قاعدتين من قواعد الاعتزال اللتين كانت تدور حولهما أكثر تعاليمهم، وهما: أصل العدل، وأصل التوحيد .

إلى غير ذلك من الأسماء.

تطور مذهب المعتزلة.

أصبح مذهب المعتزلة في -نهاية القرن الثاني الهجري- يمثل منهجاً فكرياً مستقلاً، وذلك لسببين:

١- ترجمة كتب الفلسفة اليونانية، فقد أقبل عليها المعتزلة، واهتموا بدراستها، وأسسوا علم الكلام مستوحى من قواعدها، كما سيأتي.

٢- نبوغ طائفة من المعتزلة تتلمذوا على تلاميذ واصل، وعمرو بن عبيد، وأشهرهم: أبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام.

أهم عقائد المعتزلة.

للمعتزلة عقائد كثيرة: وأهمها هي الأصول الخمسة، التي تتفق عليها فرقهم، وإن اختلفت في

تفصيلاتها أحياناً، وهي:

١- **التوحيد**: والمراد به عندهم، نفي الصفات عن الله تعالى، فيقولون: عليم بذاته، سميع بذاته، بصير بذاته، أو عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر .. وهكذا. وكذلك يريدون به القول: بأن القرآن مخلوق.

وشبهتهم أننا إذا أثبتنا لله صفات، فقد قلنا بوجود آلهة كثيرة؛ لأن الصفات غير الذات. وهذه الشبهة باطلة، فإن صفة الإنسان ليست إنساناً، فكيف تكون صفة الله إلهاً وله المثل الأعلى؟! وإنكار الصفات تكذيب لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- **العدل**: المراد به عندهم أن الله لا يخلق الشر ولا يريد، ولم يقدر المعاصي على العباد، ولكنهم هم يخلقون أفعالهم، ويفعلون ما لا يريد الله فعله ولم يقدره، وهذه هي فلسفتهم في القدر. وأصل شبهتهم عدم تفريقهم بين نوعي الإرادة:

أ- الإرادة الكونية: التي هي بمعنى المشيئة، فلا يكون في الكون إلا ما يشاءه الله ويريد وقوعه، سواء أكان يحبه أم يكرهه.

ب- والإرادة الشرعية: وهي بمعنى المحبة، فكل ما أمر الله به وشرعه، فإنه يجب فعله، سواء أطاعه العباد فيه أم عصوه. وطاعتهم أو معصيتهم لا تخرج عن إرادته الكونية الشاملة. فإذا قال المعتزلي: هل الله (يريد الكفر)؟ فنحن نجيبه بأن نفصل قائلين:

أ- إن كنت تقصد بقولك يريد الكفر أنه يشاءه ويقدره، فالجواب: نعم، فالكفر كما نرى ونعلم كثيرون، ولا يكون في ملك الله إلا ما يشاء، ولا يكون شيء إلا بقدر منه.

ب- وإن كنت تقصد أنه يجب الكفر ويشعره ويأمر به، فالجواب: لا. لأنه قال: ((وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ)) [الزمر: ٧] ولأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب تحذيراً منه.

٣- **الوعد والوعيد**: المراد به عند المعتزلة أنه يجب على الله أن يعذب العصاة، ولا يعفو عنهم، ولا يقبل فيهم الشفاعة، ولا يخرجهم من النار أبداً.

٤- **المنزلة بين المنزلتين**: وهي الاعتقاد بأن مرتكب الكبيرة كالزاني وشارب الخمر والسارق، لا يسمى مؤمناً ولا كافراً، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر.

٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: والمقصود به وجوب الدعوة إلى ما يعتقدونه من التوحيد والعدل وغيرهما، ووجوب الخروج على أئمة المسلمين، الذين ليسوا على مذهبهم بالسيف،

أو من كان على مذهبهم لكنه جار أو فسق.

ومن أخطر أصول المعتزلة : تحكيم آرائهم وعقولهم، والإعراض عن الكتاب والسنة، وقد بنوا على ذلك عقائد باطلة، مثل: إنكار عذاب القبر، وإنكار الصراط والميزان، وكثير من هذه الأمور الغيبية الثابتة.

وهم يردون الأحاديث الصحيحة لمجرد مخالفتها لهواهم، ويكذبون الصحابة والتابعين وسائر الرواة، إذا رووا ما لا يتفق ومذهبهم.

أما ما يخالف آراءهم من الآيات فإنهم يفسرونه بما لا يتفق مع الشرع واللغة، ويؤولونه كما يشاءون.

فرق المعتزلة

عادةً ما تبدأ الفرق في عددها وأفكارها صغيرة ثم ما تلبث أن تتشعب وتتفرق، فتصبح الفرقة فرقا ، وهكذا كان الحال مع المعتزلة فقد بدأت فرقة واحدة ذات مسائل محدودة، ثم ما لبثت أن زادت فرقها، وتكاثرت أقوالها وتشعبت، حتى غدت فرقا وأحزابا متعددة، فمن فرق المعتزلة:

١- **الواصلية:** وهم أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذا للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والأخبار، ثم فارقه بسبب خلافه معه في مسألة مرتكب الكبيرة، وقول واصل فيه بأنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين .

٢- **الهديلية:** وهم أصحاب أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف شيخ العترة ومقدمهم، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء، من مفردات قوله: أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خمودا، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار.

٣- **النظامية:** أتباع إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام كان قد خلط كلام الفلاسفة بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل منها قوله: أن الباري سبحانه لا يوصف بالقدرة على أن يزيد في عذاب أهل النار شيئا، ولا على أن ينقص منه شيئا، وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة، ولا أن يخرج أحدا من أهل الجنة، وليس ذلك مقدورا له، وقد أُلزم بأن يكون الباري تعالى مجبورا على ما يفعله تعالى الله .

٤- **الخابطية والحديثية:** أصحاب أحمد بن خابط وكذلك الحديثية أصحاب الفضل الحديثي،

كانا من أصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة، ومن مفردات أقوالهما القول - موافقة للنصارى- بأن المسيح عليه السلام يحاسب الخلق في الآخرة . وكذلك قولهم: أن الرؤية التي جاءت في الأحاديث، كقوله صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) متفق عليه، هي رؤية العقل الأول الذي هو أول مبدع وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات، فهو الذي يظهر يوم القيامة وترفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر فأما واهب العقل "الله" فلا يُرى.

٥- البشرية: أصحاب بشر بن المعتمر كان من علماء المعتزلة ، قال الذهبي: " وكان .. ذكيا فطنا لم يؤت الهدى، وطال عمره فما ارعوى، وكان يقع في أبي الهذيل العلاف وينسبه إلى النفاق " من أقواله: " أن الله تعالى قادر على تعذيب الأطفال وإذا فعل ذلك فهو ظالم " .

٦- المرادية: أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار، ويسمى راهب المعتزلة، من مفردات أقواله : أن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان إلهما كاذبا ظلما تعالى الله، وقال إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظما وبلاغة، وكان مبالغا في القول بخلق القرآن وتكفير من خالفه، وقد سأله إبراهيم بن السندي مرة عن أهل الأرض جميعاً فكفرهم، فأقبل عليه إبراهيم، وقال الجنة التي عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا أنت وثلاثة وافقوك، فخزي ولم يجر جوابا.

٧- الشامية: أصحاب ثمامة بن أشرس النميري كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس، انفرد عن أصحابه المعتزلة بمسائل منها قوله: في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية أنهم يصيرون في القيامة ترابا، وكذلك قال : في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين .

٨- الهشامية: أصحاب هشام بن عمرو الفوطي كان مبالغا في نفي القدر، وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى وإن ورد بها التنزيل، منها قوله: أن الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم، وقد ورد في التنزيل { ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم } ، ومنها قوله : أن الله لا يحب الإيمان إلى المؤمنين ولا يزينه في قلوبهم، وقد قال تعالى : { وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم } ومن أقواله: أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، وقال كذلك : أن النبوة جزاء على عمل وأنها باقية ما بقيت الدنيا.

الفرق الباطنية:

من أخطر الفرق في تاريخ الإسلام وأحبثها ، وهم أعدى أعداء الإسلام قديما وحديثا، وتعتبر الباطنية أخطر فرقة هدامة وضالة وملحدة في التاريخ الإنساني، وإن زعمت الانتساب إلى الإسلام، فإنها لا تمت له بأي صلة كانت سوى المسميات.

فظاهر الباطنية الرفض وباطنهم الكفر المحض، فهم أسوأ من اليهود والنصارى، والسبب في ذلك راجع لمعادتهم للأديان وبالذات الإسلام ، فهم كانوا يحاربون الفطرة الإنسانية والقيم والأخلاق بفرضهم الإلحاد والكفر والإباحية وسفك الدماء.

أساس تسميتهم: سموا بذلك لأن أصل مذهبهم هو القول بأن نصوص الكتاب والسنة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما يعرفه عامة الناس، ويعلمه العلماء، أما الباطن فهو العلم الحقيقي الذي لا يعرفه إلا الأئمة المستورون من أهل البيت.

متى ظهر المذهب الباطني؟

اختلف مؤرخوا الفرق في تحديد بدء ظهور الباطنية، وجميعهم يشترك في أنها في القرن الثالث الهجري ما بين (٢٠٥ - ٢٧٦ هـ) وسبب الاختلاف يرجع إلى:

أ-غموض أمر الباطنية في أدوار كثيرة مرّ بها تاريخهم.

ب-قبول المذهب للاختلافات ،لأنه قائم على خليط من شتى الديانات والمذاهب.

الغرض من المذهب:

أ-تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلا يتنافى مع ما يقرره الإسلام.

ب-إظهار التشيع لموافقته لمذهبهم.

ج-سلب المعاني عن الألفاظ والإتيان بمعان تتفق مع ما يهدفون إليه من الكيد للإسلام .

أسماء الباطنية: للباطنية أسماء كثيرة من أهمها وأشهرها:

١-الباطنية. لزعمهم أن لظواهر النصوص الشرعية من الكتاب والسنة بواطن خفية وأسرار

ورموز وإشارات تخالف الظاهر، فهم جعلوا الظاهر للأغبياء والجهلة (المسلمين وأئمتهم) أما الباطن فهو للأذكياء والعقلاء (الإسماعيلية وأئمتهم).

٢-الإسماعيلية. لزعمهم الانتساب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق. وهي فرقة ظاهرها

التشيع لآل البيت وحققتها هدم عقائد الإسلام، لذلك قيل عنهم: " ظاهرهم الرفض وباطنهم

الكفر المحض".

ولابد أن نعلم أن جعفرًا الصادق - رحمه الله - برئ من هذه الفرقة وبرئ من كل الغلاة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وكذلك جعفر الصادق قد كذب عليه من الأكاذيب ما لا يعلمه إلا الله... وغير ذلك مما يعلم العلماء أن جعفرًا - رحمه الله - برئ من ذلك".

٣- السبعية. لزعمهم أن الإمامة لها أدوار سبعة، كلما انتهت قامت القيامة وابتدأت دورة من جديد إلى ما لانهاية، وقيل لاعتقادهم ان العالم السفلي تديره الكواكب السبعة (زحل- المشتري- عطارد- المريخ- الزهرة- الشمس- القمر) ومن أسباب تسميتهم بالسبعية نسبة لأن عدد الأئمة سبعة من علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى إسماعيل بن جعفر، خلافاً للأثني عشرية الذين عدد أئمتهم إثني عشر إماماً، فهم يختلفون بالأئمة من بعد جعفر الصادق، فالإسماعيلية يرون أنه إسماعيل بن جعفر.

أما الاثني عشرية فهم يرون أن الإمام بعد جعفر الصادق هو موسى الكاظم، ولذلك فإن بينهما من العداوة والبغضاء ما لله به عليهم، وكلاهما يتهمان بعضهما الآخر بالأكاذيب. هنا يكمن الخلاف بينهما ويكفران بعضهما البعض وبينهما ما صنع الحداد، فالإمامة عند الإسماعيلية تنقض الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية لأنهم لا يؤمنون بموسى الكاظم إلى الإمام الثاني عشر المزعوم.

٤- التعليمية. لاعتقادهم ان العلم لا يجوز أخذه إلا من الإمام المعصوم المستور، كذلك لقبوا بالتعليمية: نسبة لإبطالهم العقل والنظر العقلي، وأن طريق المعرفة هو التعليم من الإمام المعصوم، لعلمهم أن عقائدهم تخالف العقل فجعلوا التعليم هو طريقهم. ٥- الإباحية. لأنهم أهل إباحة ولا يلتزمون بشرع، بل الحلال عندهم ما حل في أيديهم، والحرام ما منعوا منه.

٦- القرامطة. نسبة إلى حمدان بن قرمط وأتباعه هم القرامطة الذين استباحوا الحجاج وقتلوه، وعطلوا الحج في عام ٣١٧ هـ، وسبوا النساء وسفكوا الدماء، وكانوا يتحكمون بقوله تعالى: "ومن دخله كان آمناً".

إلى غير ذلك مما يطلق عليهم من أسماء.

وهكذا يتبين أن الباطنية عبارة عن تلفيق وترقيع غير متجانس بل ومتناقض من أفكار ومخلفات وموروثات الأديان والمذاهب والفلسفات الضالة البعيدة كل البعد عن مسالك الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام -، وذلك عن طريق انتهاجهم للتأويل الباطني الذي نفذوا من خلاله فجعلوا للإسلام ظاهراً له باطن مخالف لما جاء به سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، فامتدحوا الباطن وذموا الظاهر؛ لذلك فالظاهر عندهم يكون للأغبياء والمغفلين الذين لم يعرفوا الحقيقة، ويقصدون بهؤلاء نحن المسلمين ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، أما الباطن فيكون للأذكياء والملمهين من أمثالهم، إذ يعتبرون أنفسهم هم أهل الحق بانتهاجهم التأويل الباطني.

من عقائد الباطنية الإسماعيلية:

١- ينكرون وجود الله تعالى: أي أنهم ملاحدة دهرية ينكرون الصانع. فيقولون عن الله تعالى: "ليس هو موجود فيوصف ولا غائب فينعت". ويقولون: "أنه لا موجود ولا معدوم".

ولذا يقول البغدادي: "الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدوم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها".

٢- يقولون بإلهين قديمين هما (العقل والنفس)، متأثرين بالجوس القائلين بإلهين (النور والظلمة). يقول البغدادي: "وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد الجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم".

٣- ينفون صفات البارئ سبحانه وتعالى. يقولون: "فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة.... ولا يقال عليه حياً ولا قادراً ولا عالماً ولا عاقلاً ولا كاملاً ولا تاماً ولا فاعلاً". وكأنهم يتطلعون - في تجريدهم لصفات الله تعالى - في الجملة لنفي الصانع".

٤- أن محمداً ﷺ ليس خاتم النبيين، لأن النبوة مكتسبة .

٥- إنكار النبوات والطعن بالأنبياء والمرسلين - عليهم السلام -.

٦- ألوهية الأئمة. يقولون: "وكل منهم - أي الأئمة - في زمانه مقام الله بقيامه مقام النبي الذي هو القائم مقام الله". أي أن منزلة علي - رضي الله عنه - لم تخطر على قلب بشر، والربوبية والإلوهية قد خطرت على قلوب البشر، إذن فعلي أرفع من مقام الربوبية والألوهية.

٧- حرصهم على قتل آل البيت لأنهم أدل الناس على محمد - صلى الله عليه وسلم -.

- ٨- تناسخ الأرواح وإنكار اليوم الآخر.
- ٩- إسقاط التكاليف الشرعية وأن الإسلام نسخ بدعوة أئمتهم.
- ١٠- الإباحية ونكاح المحارم.
- ١١- التقيّه وكتمان الأسرار، فهم أصحاب تنظيم سري خطير جداً يهدف لنشر الدعوة والقضاء على الإسلام.
- ١٢- نظرية الفيض الإلهي الأفلاطونية.
- ١٣- قدم العالم أي أن لا أول له وأنه غير مخلوق مما يعني إنكار الخالق.
- ١٤- الأدوار والأكوار حتى ينسخوا الدين الإسلامي.
- ١٥- الكلمة واللوجوس الفلسفي.
- ١٦- المثل والمثول الأفلاطونية.
- ١٧- رمزية الحروف والأعداد متأثرين بفيثاغورث والفلاسفة القدماء.
- ١٨- يطعنون بالصحابة - رضي الله عنهم - أجمعين.

من تأويلات الباطنية:

- الصلاة: موالاة الأئمة.
- الزكاة: إخراج العلم الباطني لمن يستحق.
- الصوم: هو الستر والكتمان: أي ستر الأسرار وعدم كشفها.
- الحج: زيارة الإمام وإدمان خدمته.
- الزنا: هو كشف سر الإمام أما الزنا المتعارف عليه فهو ما يعرف بالظاهر وأنه مباح.

من فرق الباطنية الإسماعيلية(البهرة):

- وهم إسماعيلية مستعليه نسبة إلى المستعلي بالله الفاطمي الذي قتل آخاه نزار، لذلك كلما مات إمام تفرقوا إلى فرق ومذاهب.
- والبهرة هم إسماعيلية الهند واليمن، اختلطوا بالهندوس الذين أسلموا واشتغلوا بالتجارة، ولقط البهرة كلمة هندية قديمة تعني "التاجر".
- وانقسمت البهرة الإسماعيلية إلى فرقتين:
- ١- البهرة الداوودية: نسبة إلى الداعي قطب شاه داوود: وهم في الهند وباكستان منذ القرن

العاشر الهجري وداعيتهم يقيم في بومباي.

٢- البهرة السليمانية: نسبة إلى الداعي سليمان بن حسن وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم.

ومن معتقدات البهرة غير ما يؤمنون به من معتقدات الإسماعيلية الباطنية.

- لا يقيمون الصلاة في مساجد المسلمين.

- باطنهم شيء آخر فهم يصلون ولكن صلاتهم للإمام الإسماعيلي المستور من نسل الطيب

بن الأمر الذي يعبدونه من دون الله تعالى.

- يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين لكنهم يقولون: إن الكعبة هي رمز على الإمام.

- لهم شعار خالد وهو شعار الحشاشين "لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح"

ووسيلتهم الاغتيال المنظم والتحصن والامتناع بسلسلة من القلاع الحصينة، كما كانوا في

الماضي يتحصنون بقلعة ألموت في شمال بلاد فارس ويبعثون منها فرق الغدر والاغتيالات؛ لذلك

قتلوا العلماء والدعاة والأمراء كقتلهم لنظام الملك السلجوقي - رحمه الله -، حتى تميزوا بالقتل

غيلة وغدرًا فصارت صفة لهم، حتى صار مصطلح الحشاشين علماء على القتل والغدر، حتى في

أوروبا قديماً، لذلك اشتق الأوروبيون من كلمة الحشاشين ما يدل على القتل والإجرام.

- الإباحية ونكاح المحارم.

- يعتقدون أن الله لم يخلق العالم بل العقل والنفس انبثق عنها العالم عن طريق نظرية الفيض

الإلهي.

أهم أماكن وجود الباطنية.

الهند - باكستان-اليمن، العراق، البحرين، إيران، وغير ذلك .

أهم الدول الباطنية

١- الدولة العبيدية (الفاطمية):

وهي دولة باطنية ملحدة أسسها رجل يهودي يدعى عبد الله بن ميمون القداح، زاعماً أنه

من نسل فاطمة رضي الله عنها، وقد حكموا مصر وغيرها قرابة قرنين من الزمان، ومن آثارهم:

إدخال الشرك وعبادة الموتى إلى الأمة الإسلامية، كما أن الصليبيين دخلوا بلاد الإسلام،

واحتلوا القدس بخذلانهم وتواطئهم، وقد قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله أولاً، ثم ثنى

بالصليبيين.

٢- دولة القرامطة:

كانت دولتهم في شرق دولة العبيديين، أي: في بلاد الشام وجنوب العراق وشرق الجزيرة العربية، وفي سنة (٣١٧) هـ دخلوا مكة يوم التروية (٨ ذي الحجة) فقتلوا الحجاج والمصلين، وقلعوا الحجر الأسود وحملوه معهم إلى الأحساء، حيث بقي عندهم اثنتين وعشرين سنة ونهبوا الكعبة المشرفة ومكة كلها.

٣- الحشاشون:

وهم طائفة من الإسماعيلية من بقايا الدولة العبيدية أسسوا دولة في إيران أفضت مضجع الأمة الإسلامية بالحروب والسلب والاختيال، فقد فتكوا بعدد من زعماء الإسلام السياسيين والعلميين، وممن حاولوا اغتياله (صلاح الدين الأيوبي).

وقد ظهرت دولتهم في أوائل القرن السادس واستمرت إلى أن قضى عليها التتار.

أما دعوتهم فلا تزال قائمة، وهم المعروفون باسم (الآخاخانية) نسبة إلى لقب زعيمهم (آخاخان).

فرقة الصوفية

التعريف بالصوفية لغة واصطلاحاً

في اللغة: يطلق علماء اللغة كلمة (صوف) في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان، منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، ومنها صوفان وصوفانة وتطلق على بقلة زغباء قصيرة. وقد أطلقت كلمة "صوف" في بعض دلالتها بمعنى الميل، فيقال صاف السهم عن الهدف بمعنى مال عنه، وصاف عن الشر أي عدل عنه.

في الاصطلاح: يجب إدراك أن الصوفية مرت بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة، ومن هنا وقع كثير من الجدل بين العلماء في التعريف بالصوفية ونذكر فيما يلي بعض التعريفات التي أطلقت على مفهوم التصوف سواء، كانت من الصوفية أو من مخالفيهم، ومن ذلك ما يلي:

١- التصوف هو تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهوة، والميل إلى التواضع والخمول، وإماتة الشهوات في النفس.

وهذا التعريف قد لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول، الذي كان التصوف فيه عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده، والزهد في الدنيا والتخفف من متاعها والإقبال على الآخرة، دون أن يلبسوا ذلك بشيء من الأفكار والسلوك المشين الذي وصلت إليه الصوفية بعد ذلك.

٢- وذهب كثير من العلماء إلى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم - أي "الصوفية" - إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي عبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة، وقد علق القشيري على هذا بقوله: "فذلك وجهه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف".

٣- وبعض العلماء يرى أن التصوف مأخوذ عن الصفاء؛ أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملتهم لله تعالى، وهو ما يجب للصوفيون التسمي به، بل إن كل انتساب فيما لاحظ (نيكلسون) إلى الصوف يقابله اثنا عشر تعريفاً تعتمد على الصفاء، الذي حاول الصوفية أن ينتسبوا إليه إلا أن القشيري قد استبعد هذا المفهوم في اللغة بقوله: "ومن قال أنه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة".

٤- وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد، ويرى القشيري أن النسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي.

- ٥- وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصف الأول، قال القشيري: "فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف".
- ٦- وبعضهم يرى أنه نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهى قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية، وهى تنتسب إلى رجل يقال له صوفة كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام.
- ٧- وبعضهم يرى أنها نسبة إلى الصفوة من خلق الله تعالى.
- إلى غير ذلك من التعريفات.

ولما كانت تلك التعريفات أموراً اجتهادية واستحسانات وتقريباً لهذا المذهب، فإنك تجد أنه يرد عليها اعتراضات كثيرة، وفي بعضها أخطاء واضحة.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ردود على بعض تلك التعريفات، فقد ذكر أنه إذا كانت النسبة إلى أهل الصفة - وهو خطأ تاريخي - فإنه يقال صُفِّي، وأما إذا كانت إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى فإنه يقال صَفِّي، وأما إذا كانت نسبة إلى الصفوة من خلق الله فإنه يقال صَفْوِيٌّ، وأما إذا كانت النسبة إلى ذلك الرجل الجاهلي فإنه لا أحد من المتصوفة يرضى أن ينسب إلى قبيلة جاهلية قبل الإسلام، إضافة إلى أنه لم تعرف هذه التسمية بين الصحابة ولا كانت هذه القبيلة مشهورة أيضاً.

وقد زعم بعض الكتاب "أن كلمة تصوف في العربية تعادلها كلمة "سوفيا" اليونانية والتي معناها الحكمة" أي أن التصوف نسبة إلى الحكمة اليونانية، وهو زعم أبطله كثير من العلماء؛ وربما لأن التصوف إنما ظهر بعد الإسلام ولا يمنع هذا أن تتأثر الصوفية بعد ذلك بشتى التأثيرات بل هو الواقع، ولكن ليس بالمفهوم اليوناني الكامل.

هذا ونسبة التصوف إلى الصوف أقرب إلى الاشتقاق اللغوي كما أنه أقرب كذلك إلى ذوق الصوفية وحالهم في تمسكهم بلباس الصوف، وقد ذهب إلى تقرير هذا القول كثير من العلماء في نسبتهم لهذه الطائفة التي لم توجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان؛ إذ لو وجدت في هذه الأزمنة وعرفها الناس وعرفوا مسالكها لاشتهرت تسميتها ولما حصل لبس أو خلاف في حقيقتها واتجاهاتها بين المتأخرين.

وقد رجح شيخ الإسلام فيما يظهر من كلامه أن التصوف نسبة إلى الصوف حيث قال: "وقيل - وهو المعروف - : أنه نسبة إلى لبس الصوف".

ثم علل ذلك بقوله: "فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار؛ ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية".

حقيقة التصوف .

مضي زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يعرف عنهم أي سلوك يتميزون به غير اتباع الكتاب والسنة والتشرف بنسبتهم إلى ذلك. إلى أن أحدث أناس في الدين بدعة التصوف منحرفين عن المنهج السليم، وراحوا يتخبطون في دوائر وهمية وفرق عديدة وأحزاب متناحرة كل حزب بما لديهم فرحون.

وقد أخذ كل فريق من هؤلاء يعبر عن التصوف حسب ما يراه، ولهذا فإن العلماء لم يتفقوا علي بيان محدد لمفهوم التصوف عند الصوفيين؛ ذلك لإطلاق هؤلاء الصوفية عبارات شتى حسب ذوق كل فريق، وتخيلاته لمفهوم التصوف، إلا أن الحصيلة العامة لأقوالهم تلتقي حول أن التصوف هو: القرب من الله، وترك الاكتساب، والتمسك بالخلق الرفيع، والجود، ورفع التكاليف عن بعض فضلائهم حين يتصلون بالله عز وجل علي حد زعمهم، ويصلون إلى درجة اليقين وظهور المكاشفات، ثم هم بعد ذلك درجات في تطبيق هذا المفهوم.

من فرق الصوفية : التيجانية

التعريف بها: التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًا في هذه الدنيا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصهم بصلاة (الفتاح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

• المؤسس هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن أحمد بن محمد سالم التيجاني، وقد عاش ما بين (١١٥٠-١٢٣٠هـ) (١٧٣٧ - ١٨١٥م) وكان مولده في قرية عين ماضي من قرى الصحراء بالجزائر حاليًا.

- درس العلوم الشرعية، وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة والمدينة

ووهران.

- أنشأ طريقته عام (١١٩٦هـ) في قرية أبي سمغون وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها تخرج الدعوة لنتشر في أفريقيا بعامة.

- أبرز آثاره التي خلفها لمن بعده زاويته التيجانية في فاس، وكتابه جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني الذي قام بجمعه تلميذه علي حرازم.
من مشاهيرهم بعد المؤسس:

- علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي وقد توفي في المدينة النبوية.

- محمد بن المشري الحسني السابحي السباعي (ت ١٢٢٤هـ) صاحب كتاب الجامع لما افترق من العلوم وكتاب نصره الشرفاء في الرد على أهل الجفاء.

- أحمد سكيرج العياشي ١٢٩٥ - ١٣٦٣هـ ولد بفاس، ودرس في مسجد القرويين، وعين مدرساً فيه، تولى القضاء، وزار عددًا من مدن المغرب، وله كتاب الكوكب الوهاج وكتاب كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التيجاني من الأصحاب.

- عمر بن سعيد بن عثمان الفوقي السنغالي: ولد سنة ١٧٩٧م في قرية الفار من بلاد ديمار بالسنغال حاليًا، تلقى علومه في الأزهر بمصر، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين، وكانت له جهود طيبة في مقاومة الفرنسيين. وقد كانت وفاته سنة ١٢٨٣هـ، وخلفه من بعده اثنان من أتباعه، وأهم مؤلفاته رماح حزب الرحيم على محور حزب الرحيم الذي كتبه سنة ١٢٦١م.

- محمد عبد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التيجاني المصري ١٣١٥ - ١٣٩٨هـ وهو رائد التيجانية في مصر، وقد خلف مكتبة موجودة الآن في الزاوية التيجانية بالقاهرة وله كتاب الحق والخلق، وله الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط، وشروط الطريقة التيجانية كما أسس مجلة طريق الحق سنة ١٣٧٠ - ١٩٥٠م.

الأفكار والمعتقدات:

- إن إيمانهم بالله سبحانه وتعالى إيمانًا يداخله كثير من الشكيات.
- ينطبق عليهم ما ينطبق على الصوفية بعامة من حيث التمسك بمعتقدات المتصوفة وفكرهم وفلسفتهم ومن ذلك إيمانهم بوحدة الوجود، وإيمانهم بالفناء الذي يطلقون عليه اسم (وحدة

الشهود) .

- يقسمون الغيب إلى قسمين: غيب مطلق استأثر الله بعلمه، وغيب مقيد وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض. ورغم أن هذا في عمومته قد يشاركهم فيه غيرهم من المسلمين إلا أنهم يتوسعون في نسبة علم الغيب إلى مشايخهم.

- يزعمون بأن مشايخهم يكشفون عن بصائرهم، فهم يقولون عن شيخهم أحمد التيجاني: ومن كماله: نفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر بمقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها إظهار المضمرة وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات.

- يدعي زعيمهم أحمد التيجاني بأنه قد التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لقاءً حسياً مادياً وأنه قد كلمه مشافهة، وأنه تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم صلاة (الفتح لما أغلق). - صيغة هذه الصلاة: "اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم" ولهم في هذه الصلاة اعتقادات نسوق منها ما يلي:

- أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بأن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن ست مرات.

- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبره مرة ثانية بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن قراءة القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه كان من الأذكار.

- أن الفضل لا يحصل بها إلا بشرط أن يكون صاحبها مأذوناً بتلاوتها، وهذا يعني تسلسل نسب الإذن حتى يصل إلى أحمد التيجاني الذي تلقاه عن رسول الله . كما يزعم.

. أن هذه الصلاة هي من كلام الله تعالى بمنزلة الأحاديث القدسية.

. أن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات كان أكثر ثواباً من العارف الذي لم يذكرها، ولو عاش ألف ألف سنة.

. من قرأها مرة كُفِّرَتْ بها ذنوبه، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ودعاء وذكر وقع في

الكون.. إلخ .

• يلاحظ عليهم شدة تهويلهم للأمور الصغيرة، وتصغيرهم للأمور العظيمة، على حسب هواهم، مما أدى إلى أن يفتشو التكاسل بينهم والتقاعس في أداء العبادات والتهاون فيها وذلك لما يشاع بينهم من الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد منهم.

• يقولون بأن لهم خصوصيات ترفعهم عن مقام الناس الآخرين يوم القيامة ومن ذلك:
. أن تخفف عنهم سكرات الموت.

. أن يظلمهم الله في ظل عرشه.

. أن لهم برزخًا يستظلون به وحدهم.

. أنهم يكونون مع الأمنين عند باب الجنة حتى يدخلوها في الزمرة الأولى مع المصطفى صلى

الله عليه وسلم وأصحابه المقربين.

• يقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهي أحمد التيجاني عن التوجه بالأسماء الحسنى، وأمره بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق وهذا مخالف لصريح الآية الكريمة: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) [سورة الأعراف، الآية: ١٨٠].

. يقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر أحمد التيجاني بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق،

وأنه لم يأمر بها أحدًا قبله، وفي ذلك افتراء بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتم عن الأمة المسلمة شيئًا مما أوحى إليه من ربه، وقد ادخره حتى حان وقت إظهاره حيث باح به لشيخهم أحمد التيجاني.

• هم كباقي الطرق الصوفية يجيزون التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم وعباد الله

الصالحين، ويستمدون منه ومنهم ومن الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن أحمد التيجاني ذاته، وهذا مما نهي عنه شرع الله الحكيم.

• تتردد في كتبهم كثير من ألقاب الصوفية كالنجباء، والنقباء، والأبدال، والأوتاد،،

وتترادف لديهم كلمتا الغوث، والقطب، (الذي يقولون عنه بأنه ذلك الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود!!)

• يقولون بأن أحمد التيجاني هو خاتم الأولياء مثلما أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم

الأنبياء.

• يقول أحمد التيجاني (من رأني دخل الجنة). ويزعم أن من حصل له النظر إليه يومي الجمعة

والاثنتين دخل الجنة. ويؤكد على أتباعه بأن النبي صلى الله عليه وسلم ذاته قد ضمن له ولهم الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عقاب.

- ينقلون عن أحمد التيجاني قوله: "إن كل ما أعطيه كل عارف بالله أعطي لي".
- وكذلك قوله: إن طائفة من أصحابه لو وزنت أقطاب أمة محمد ما وزنوا شعرة فرد من أفرادهم، فكيف به هو !!.

- وقوله: "إن قَدَمِيَّ هَاتين على رقبة كل ولي من لدن خلق الله آدم إلى النفخ في الصور".
- لهم ورد يقرؤونه صباحًا ومساءً، ووظيفته تقرأ في اليوم مرة صباحًا أو مساءً، وذكر يعتقد بعد العصر من يوم الجمعة على أن يكون متصلًا بالغروب، والأخيران الوظيفة والذكر يحتاجان إلى طهارة مائية، وهناك العديد من الأوراد الأخرى لمناسبات مختلفة.

- من أخذ وردًا فلا يجوز له أن يتخلى عنه وإلا هلك وحلت به العقوبة العظمى !!.
- نصَّب أحمد التيجاني نفسه في مقام النبوة يوم القيامة إذ قال: "يوضع لي منبر من نور يوم القيامة، وينادي مناد حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه من غير شعوركم".

الجدور الفكرية والعقائدية:

- مما لا شك فيه بأنه قد استمد معظم آرائه من الفكر الصوفي وزاد عليها شيئًا من أفكاره.
- وقد نهل من كتب عبد القادر الجيلاني وابن عربي والحلاج وغيرهم من المتصوفة.
- وخلال فترة تشكله قبل تأسيس الطريقة قابل عددًا من مشايخ الصوفية وأخذ إذنًا وأورادًا عنهم وأبرز تلك الطرق القادرية والخلوتية.
- كان لانتشار الجهل أثر كبير في ذيوع طريقته بين الناس.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- بدأت هذه الحركة من فاس وما زالت تنتشر حتى صار لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب والسودان الغربي (السنغال) ونيجيريا وشمالي أفريقيا ومصر والسودان وغيرها من أفريقيا.

وهكذا يتضح: أن التيجانيين مبتدعون في عباداتهم وكل بدعة ضلالة؛ لأنهم ذهبوا إلى تخصيص أدعية بذاتها غير واردة في الشرع، وألزموا الناس بعبادات معينة في أوقات مخصوصة لا تستند إلى أساس، فضلًا عن أن لهم معتقدات تخرج بمن يعتنقها عن الملة كالقول بالحلول والاتحاد.